مفاهيم الإسلام (٩)

من عنده علم الكتاب؟

دراسة نقدية لتيار تنتحر الأصالة فيه

جلال الدين الصغير

دار الأعراف للدراسات ـ بيروت



من عنده علم الكتاب؟

مفاهيم الإسلام [٩]

من عنده علم الكتاب؟

قراءة نقدية في مناهج الإستدلال عند تيار
تنتحر الأصالة فيه! «الآية نموذجاً».

الشيخ جلال الدين علي الصغير

دار الأعراف للدراسات

بيروت

الطبعة الأولىٰ ــ بيروت
١٩٩٨م ــ ١٤١٩هـ

فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ

سورة الرعد: ٤٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله، نحمده بحمد لا يزول ولا يحول، ونستعينه علىٰ شرور أنفسنا من أن نضلّ أو ننحرف أو نخزىٰ، ثم الصلاة على سيد رسله وخاتم أنبيائه، المستودع على كتابه، والمستحفظ على علمه، والمؤتمن على وحيه سيدنا ونبينا محمد وعلى الصفوة المنتجبة والخيرة المنتخبة من آله الذين عصمهم الله من الزلل، وجعلهم الراسخين في علمه، حيث لم يأتمن عليه إلا من ارتضىٰ من نبي او شهيد..

ها نحن نعاود من جديد الحديث عن واحدة أخرىٰ من تلكم المفردات التي استهدفتها الثقافة التحريفية؛ التي ما فتئت منذ برهة من الزمن من الخروج علينا بين آونة وأخرىٰ بشيء جديد، ليصبّ في قائمة جرأتها علىٰ فكر أهل البيت(عليهم السلام) وإبتعادها عنه، رغم محاولاتها الحثيثة لتقديم هذا الإنحراف علىٰ أنه فكر مدرسة أهل

البيت (عليهم السلام).

وهذه المفردة رغم أن صورتها المباشرة قد لاتشكل ذلك الشيء الكبير في قائمة الإنحراف، إلا أننا سنلاحظ أن إستهدافها يخبّيء وراءه جملة من الغايات والأهداف الكبيرة التي من شأن زعزعتها ـ أي هذه المفردة ـ أن يهدّ الكثير من المباني العقائدية والتشريعية الأساسية التي تعتمد عليها مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)، ولهذا فإننا على الرغم من أننا تحدّثنا عنها بشكل مجمل جداً في بحثنا السابق[1]، إلا أننا وجدنا أن من الضرورة بمكان ان نفصّل فيها الحديث بشكل مستقل، خصوصاً وأننا وجدنا في الأيام الأخيرة تركيزاً كبيراً على إرداف فكرة التحريف بمصاديق كثيرة، لا تتوقف عند إفتعال سجال كلامي يستهدف مقامات شأنية أهل البيت(عليهم السلام) التفصيلية فحسب، وإنما يمتد ليحاول تأسيس جملة من القواعد الفكرية التي من شأنها أن تؤثر على مساحات أساسية في البنية العقائدية والتشريعية التي يقوم عليها هيكل مدرسة اهل البيت (عليهم السلام).

ولست هنا في مقام الحديث عن تلكم الأهداف،

---

(١) الولاية التكوينية؛ الحق الطبيعي للمعصوم(عليه السلام): ٩٩ـ ١٠٣ الطبعة الاولىٰ ـ بيروت؛ دار الأعراف للدراسات.

فهي ليست مهمتنا الحصرية هنا، ولكن لابد من الإلماح إلىٰ محورين أساسيين في هذا المجال هما:

أولهما: إن هذه المفردة التي استهدفتها التحريفية الجديدة بمعية جملة كبيرة من المفردات التي تشترك جميعها في كونها مورد حديث مستفيض في الحديث الصحيح الصادر عن المعصوم عليه السلام،[1] وإذا ما كان

---

(١) كما في التضعيف الصادر بحديث الكساء أو بشأنية بعض الأنبياء والمعصومين كما في قضية سذاجة آدم عليه السلام، وتوبيخ الله لنوح عليه السلام، وخشوع إبراهيم عليه السلام الروحي للكوكب وتخيّله بأنه هو الإله العظيم، ومن ثم للشمس والقمر، ودعوى أن موسىٰ عليه السلام لم يكن يعلم بأن الله لايرى إلا بعد أن علّمه الله ذلك، وكذا همّ يوسف عليه السلام واستنفاذه كل طاقاته في المقاومة، وكذا التخرصات المشينة والمخلّة بالأدب بحق أنبياء الله نوح وداود وسليمان ويونس عليهم السلام وقضية الرسول صلى الله عليه وآله في موضوعة عبس وتولّىٰ، أو فيما يتعلق بطهارة آباء النبي، وكذا في موضوعات نور الرسول والائمة والشفاعة والرجعة والبداء والولاية التكوينية وعلم الإمام، والعمل بالقياس والإستحسانات والمصالح المرسلة وما إلى ذلك من أمور كثيرة جداً. «ذكرنا هذه الأمور ومئات! غيرها مع استعراض شامل لمواضع هذه المقولات في الثقافة التحريفية، وذلك ضمن كتابنا موضع الإنجاز: التحريفية الجديدة: المعالم والتداعيات».

ذلك صحيحاً ــ وهو صحيح كما سنرىٰ بعد ذلك في هذا البحث وغيره[1] ــ فإن من السذاجة القول بأن المقصود هو نفس هذه المفردات دون ان تمتد لتطال مصداقية رواية أهل البيت(عليهم السلام)، وجعل هذه الرواية[2] مورد تجاذب ذوقي وإجتهادي يُسمح معها للأخذ بها أو الإغضاء عنها من أجل تمرير التفاسير الأخرىٰ التي تتجاوز تفسير المعصومين (عليهم السلام).

وهذا بدوره ــ إن مر ــ سيؤدي بالضرورة إلىٰ إخراج سنة المعصومين(عليهم السلام) من مجالات النص المقدس، وبالتالي حذفها من مصادر التشريع الإسلامي، سيّما إذا ما لاحظنا ذلك ضمن الجو الملغّم ــ إذا صح التعبير ــ في حديث أهل التحريف عن موضوعات

---

(١) ستصدر لنا تباعاً بعون الله جملة من الأبحاث التي تتناول هذه الموضوعات، وقد أنجزنا لحد الآن الأبحاث التالية:
١ــ العصمة، ٢ــ الإمامة ذلك الثابت الإسلامي المقدس، ٣ــ الإمامة؛ بحث في الضرورة والمهام، ٤ــ الفقه الإباحي إباحة فقه أم إستباحة دين؟ ٥ــ دور الوجدان في حركة الأمة «الشعار الحسيني نموذجاً».

(٢) المقصود هنا الرواية الصحيحة والموثوقة في صدورها عن المعصوم (عليه السلام).

العصمة[1] وعلم الإمام وما إلىٰ ذلك!!.

وإلا فأي معنىٰ يمكن أن نستوحيه من موقف شخص تقول له بأن الإمام(عليه السلام) يقول كذا، وهو يقول نعم، ولكن أنا أقول غير ذلك!!... فتدبّر.

وثانيهما: من المعلوم أن الوجدان الشيعي المبتني على الحب المتميز والمودة الخالصة لأهل البيت عليهم السلام، إنما نشأ؛ فلأسباب أغلبها يعود إلىٰ طبيعة معرفية خاصة بالمواصفات الذاتية والموضوعية لشخصية الأئمة (عليهم السلام) مرة في جانب مناقبياتهم السامية، ومزاياهم السامقة، وأخرىٰ في ظلاماتهم المأساوية وطبيعة ما جرىٰ عليهم (روحي فداهم)، ومن ذي وذا كوّن الوجدان الشيعي بنيته التي كان لها أكبر الأثر في بلورة طموحاته وآماله في العدالة والكرامة، وبالتالي كان لها أكبر الأثر في دفع مسيرة أهل البيت(عليهم السلام) إلىٰ مراحل متقدمة بصورة لم تفلح معها كل مجابهات الظلمة ومواجهاتهم ضدها وضد أنصارها على مدىٰ العصور،

---

(١) أنظر علىٰ سبيل المثال مقالة: مع الشيخ المفيد في تصحيح الإعتقاد، مجلة الفكر الجديد؛ العدد التاسع ص٦٢، وكذا كتاب فقه الحياة ص٢٦٧ فما بعدها.

ولـــم تقــف فـي قبـالهـا كـل إجـراءات القمـع الأمنـي والإرهاب السياسي والحرمان الإقتصادي والعزلة الفكرية وغيرها، بالرغم من كل ما تميّزت به هذه الإجراءات والتدابيـر من قسوة وشراسة لم نعهد أي تيار فكري آخر أن تعرض لها، وهي على الرغم من كل ذلك لم تنحن، ولم تصخ سمعاً لهذه الضغوط، وليس هذا فحسب، وإنمـــا راح الــوجـــدان الشيعـي المتـوقـد يعطـي لإرادة السائرين كل الزخم الذي يحتاجون إليه، بشكل حوّل التشيع أخيراً إلى الهاجس المرعب الذي تخشاه كل التيارات الطاغوتية حاكمة كانت أم محكومة، علمانية كانت أم دينية، إسلامية[1] أم مسيحية او يهودية أو بوذية. وبصورة أضحىٰ الفكر الشيعي مناراً لكل دعاة التحرر من القهر والإستعباد.

والتساؤل الذي لابد منه هنا هو: هل هي محض مصادفة أن تقترن إرادة التحريفية الجديدة بعملها الدؤوب من أجل تحطيم تلك الطبيعة المعرفية التي أسست أساس الوجدان الشيعي، وكذا حملتها الشرسة ضد مواقع الإثارة المركزية في البنية الوجدانية،[2] مع الرغبة الإستكبارية

---

(١) أي تتخذ من الإسلام كغطاء رسمي يغطي ظلمها.
(٢) كما نرى ذلك في حملتها المنظمة ضد البعد المأساوي في =

الحثيثة والجادة في تفتيت وتحجيم مواقع الطاقة الحركية في الإتجاه الإسلامي الشيعي على وجه الخصوص؟.

فإن كان الواقع التحريفي على وعي لما يمكن أن تسبّبه أفكاره ــ بغض النظر عن الصحة والخطأ ــ من آثار تخريبية على هذه المسيرة، فتلك مصيبة تؤشر من جهة وبوضوح إلى مدىٰ الإختراق الذي يمكن ان يمارسه أعداء الإسلام في جسم الأمة بحيث أنه يجند الكثير من الطاقات الإسلامية المغرّرة لضرب الإسلام وتحجيم

= هذه البنية من خلال ما طرحته حول مظلومية السيدة الزهراء (عليها السلام) وتكوينها التربوي(*) والمسائل المتعلقة بشعارات الحسين(عليه السلام)، وكذا ضد الجنبة المناقبية في هذا البناء من خلال ما طرحته حول شخصية الإمام علي(**) أو في شؤون بيعة الغدير(***)، وكذا ما طرحته من مسائل عدم ثبات الإمامة والعصمة وتنكّرها للولاية التكوينية والشفاعة وشؤون الزيارات والأضرحة(★) وغير ذلك كثير جداً.

(*) أنظر كتاب تأملات إسلامية حول المرأة: ٩.

(**) كما نرى ذلك في كتاب في رحاب دعاء كميل.

(***) أنظر كتاب الندوة ١: ٤٢٢ وبضع أشرطة نحتفظ بها.

(★) أنظر في ذلك مقالات الأصالة والتجديد في مجلة المنهاج العدد الثاني، ومقال مع الشيخ المفيد في تصحيح الإعتقاد في مجلة الفكر الجديد العدد التاسع، وصورة النبي محمد في القران الكريم في مجلة الثقافة الإسلامية العدد ٦٥، وما نشر في مجلة الموسم في عددها ٢١، ٢٢، وغير ذلك كثير.

حركته.

ومن جهة اخرىٰ تعطينا كل الحق في النظر الى تيار التحريف والتشكيك بريبة وإتهام، خصوصاً وأن أغلب الأفكار والممارسات التي حاولت التحريفية أن تستهدفها هي من النمط الذي لا يمثل أرقاً فكرياً أو هاجساً جدلياً تعاني منه حالة النهوض بالمشروع الحضاري الإسلامي، وإنما هي في الأعم الأغلب من جملة الموضوعات التي يصلح القول فيها انها كانت راقدة، بحيث يمكن القول معه أن أي ضرورة فكرية أو حضارية ــ علىٰ خلاف مدعىٰ أهل التحريف ــ لإثارة مثل هذا الجدل لم يكن لها وجود بالمرة.[1]

---

(١) هذا لايعني أننا نطالب بالإنغلاق على المسائل الفكرية النائمة وإن حوت علىٰ مشاكل في البنية الدليلية، وإنما الوعي الحركي الحضاري يفترض تارة أولويات في الخطاب الفكري تبعاً لحجم الضغط الذي تفرزه متطلبات الواقع الحركي من جهة، وضغوط التيارات الحضارية الأخرىٰ من جهة ثانية، وعندئذ سنجد أن في جعبتنا المئات من الموضوعات التي ينبغي أن يتصدّىٰ لها رجال الفكر بإعتبارها من أولويات هذا الخطاب.

وتارة يفرض أن نعالج هذه الموضوعات وغيرها ضمن قدرة دليلية تكفي لنقض ما كان لدينا من أفكار وقيم ضمن مسيرة =

= البحث عن الأفضل والأكمل.

أما أن نتخذ من هذه المسيرة حجة لمواجهة تلك الأفكار ونعتها بكل النعوت السلبية بقدرات إستدلالية متدنية، فهذا ما لا يرضىٰ به ذو عقل. فأنت حر في مناقشة ما تريد، ولكن ينبغي مراعاة حقيقة ان النقاش لم يوضع لأجل النقاش، وإنما من أجل أن يوصلنا إلىٰ الأفضل، وبغيره فالشك والجدل يغدو عملية عابثة قد تدخل في أي نمط في السلوك الإجتماعي إلا أن تدخل في عالم الأفكار، فهو منه براء.

وهذا ما حصل بالضبط مع الثقافة التحريفية التي استعارت مناهج معرفية غريبة عن الفكر الإسلامي فأوقعها ذلك في مطبّ عدم تقبّل الفكر العقائدي فراحت تنبش علّها تحصل علىٰ دليل، ولكنها ظلّت عاجزة وبعيدة عن تشكيل حتىٰ مجرد دليل يمكنه نقض الفكرة السابقة، فضلاً عن الإتيان بدليل ينمّي ويعزز الفكرة المطروحة.

وهذا ما يقود بطبيعة الحال إلىٰ إيجاد المبرر الحقيقي للإرتياب في حقيقة أهداف عملية النبش العقائدي هذه، إذ نجد هنا إجتماع العبثية واللامسؤولية مع تدني الفكر المصاحب بإدعاء عريض علىٰ أن فكر التحريفية هو فكر الإسلام، الأمر الذي قاد إلىٰ الاعتقاد ان المسألة تتجاوز البعد الفكري لتلتحق بالأبعاد السياسية خصوصاً إذا ما =

وإن كان الواقع التحريفي لا يقصد هذا؛ فهو أمرّ وأدهىٰ، فواقع يطرح أفكاراً لها صفة التخريب الشديد في بنية المذهب وهو لا يعلم، إنما يضع نفسه في موضع التصرف اللامسؤول الذي ينبغي أن يُدان ويُشجب!.

هذا وإن كان الإتجاه العام يظهر وبوضوح تام ـ كما يعرب نفس القائمين علىٰ هذا التيار ـ أن تصرفات هذا الواقع تنمُّ عن قصد ووعي كاملين، وهو ما نعتقد به أيضاً!!.

* * *

على أننا سنجد ومن خلال تحليل كلمات التحريفية الجديدة في موضوع الكتاب وغيره، أن هناك إتجاهاً لتأسيس فهم عجيب لآيات القرآن، أقل ما يقال عنه أنه

= لاحظنا ذلك ضمن منظار ذلك الإصرار على الطرح الفكري التحريفي مع وجود قناعة بعدم وجود الدليل المقنع، ولربما من ينظر إلى طبيعة الممارسات التي صاحبت ضجيج التحريفية الجديدة، يشعر إن الكثير منها يضفي نمطاً دراماتيكياً يستحق التأمل الشديد، كون اغلب تلكم الممارسات لاتنتمي إلى ما ألفناه من أجواء أكثر الطروحات تنكرا للعقائد.

مجانب لفكر أهل البيت عليهم السلام، فضلاً عن تجنّبه للتوافق مع القران الكريم ومعطياته، وهذا ــ إن مرّ ــ يؤسس بطبيعته لجملة من الموضوعات القرآنية ما يجعلها ــ على الأقل ــ تعمل ضد تكامل الشخصية الإسلامية المتصدّية للمشروع الإستكباري، فهذه الشخصية يفترض أن تتعبأ علىٰ أعلى مستويات التعبئة العقائدية، كي تستطيع ان تعي ذاتها، فضلاً عن وعيها بمشروع النهوض بهذه الذات ضمن هذا المعترك الحضاري، وإذا بها على العكس من ذلك تجد نفسها قبالة مفاهيم تتلبس بلباس القرآن، ولكنها تتناقض مع الكثير من المفردات القرانية الأخرىٰ، بشكل تشعر معه بأن القران ليس هو ذاك الكتاب المنسجم مع بعضه، في وقت تعتبر فيه أن هذا القران غير المتجانس هو عنوان مشروعها الحضاري المزعوم!!! وهل من غريب الصدفة ــ مرة أخرى ــ أن يتلاقىٰ هذا الجهد مع جهود الحربْ النفسية ومقتضيات الغزو الثقافي الإستكباري الرامي لتفتيت وعي الأمة لذاتها؟!!.

وأياً كان الإتجاه فإنني ألمس أثراً تخريبياً كبيراً يمكن لمثل هذه الأفكار أن تتركه على بنيتنا العقائدية والوجدانية، بصورة تضعني أمام واجبي الشرعي للتصدي لتوضيح عقيدة أهل البيت عليهم السلام وإزاحة ما

يحاول البعض إلحاق بعض الرين بها، وذلك عملاً بحديث الرسول ﷺ: **إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه؛ فمن لم يفعل فعليه لعنة الله**[1].

وفي رواية يونس بن عبد الرحمن(رضي الله عنه)، عن الصادقين عليهم السلام: **فمن لم يفعل سلب نور الإيمان منه**[2].

وفي هذا البحث حاولنا ان نكتشف الأطر التي بموجبها قال أهل البيت عليهم السلام بأن آية: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[3] مختصة بأمير المؤمنين عليه السلام وهم من بعده، والتي تنكّر لها ذلك البعض؛ مولياً الإختصاص لعلماء أهل الكتاب[4] وذلك تبعاً لمرويات أهل العامة في هذا المجال.

وقد قسّمنا الحديث في ذلك إلىٰ بحث تفسيري ناقشنا فيه كل الآراء المطروحة في هذا المجال، وإلىٰ

---

(١) الكافي ١: ٥٤ ح٢. ومثله في وسائل الشيعة ١١: ٥١٠ ب٤٠ ح١.

(٢) علل الشرائع: ٢٣٥ـ ٢٣٦ ب١٧١ ح١، ومثله في غيبة الطوسي: ٦٤ ح٦٦.

(٣) سورة الرعد: ٤٣.

(٤) جريدة فكر وثقافة، العددين: ٢٢و٤١.

بحث روائي يظهر تواتر رواية أهل البيت عليهم السلام علىٰ ذلك.

وبإعتبار أن أصل الطرح إنما يستهدف نمط التعامل مع سنة أهل البيت عليهم السلام فقد أشفعنا البحث الروائي بالحديث عن منهج الإستدلال الروائي لدىٰ التيار التحريفي؛ وهو المنهج الذي يشكّل أحد الركائز الإساسية التي أفضت إلىٰ ولادة تيار الإنحراف!!.

يبقىٰ عليّ أن أشير إلىٰ أن هذا البحث كان في الأصل قد ألقي علىٰ شكل محاضرات[1] ضمن مباحث الإمامة التي ألقيناها علىٰ بعض الطلبة الأعزاء في منطقة السيدة زينب عليها السلام بدمشق الشآم.

سائلاً المولىٰ العلي القدير ان يمنّ علينا بمزيد التوفيق والهداية، وأن لا يحرمنا من حسن العاقبة،

---

(١) وهي المحاضرات التي وصفها تيار الإنحراف بأنها شتائمية، ولا تقدّم الدليل بقدر تقديمها الضجيج، وهي الطريقة التي تعارف هذا التيار على التعامل بها كلما وجد نفسه محاصراً من قبل الدليل، ويمكن للقاريء الكريم أن يتصفح متون البحث ليجد أي لغة شتائمية ينطوي عليها. هذا إذا لم يعن مصطلح الشتائمية نقد فكر هذا التيار ودحضه، وإلا فقد حوىٰ البحث على أكثر من ذلك.

ويجعل هذا الجهد قرّة عين لي ولوالدي بين يدي قسيم الجنة والنار وساقي الحوض يوم حشر الخلائق سيدي ومولاي أمير المؤمنين، وأن يعوّض علينا بعافيته ونعيمه كل ما تحملناه وما نتحمله من معاناة وقرارات التهديد والوعيد!! وفتاوىٰ إهدار الدم!! إنه نعم المولىٰ ونعم المعين ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[1] .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المهجر في ١٢/٨/١٩٩٧

الشيخ جلال الدين علي الصغير

دمشق ــ السيدة زينب عليها السلام ص.ب٦٢٥

---

(١) آل عمران: ١٧٣.

الإهداء

سيدتي زينب يا بنت أمير المؤمنين

أوراقي بين يديك ما هي إلا رشفة من بحر هامت فيه الأنفس فلم تجد ضالتها إلا من مكنتموه من الإرتشاف من معين الولاء لكم.

أوراقي غرفة من بحر ولائي لإمام الهدىٰ الأكبر وسبيل النجاة الأقوم أقدمها إليك يا ابنة الطهر بيد مرتعشة خجلىٰ من واقع التقصير، فإن لم أكن أهلاً لأن أحظىٰ بالقبول فأنت يا ابنة الأكرمين اهل لذلك.

تصدير

الشهادة
في المصطلح والمفهوم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾

من خلال الحديث الواسع النطاق عن الشهادة في القرآن، تتبدىٰ لنا الأهمية الخاصة التي أولاها القرآن للموضوع، وحسب الظاهر فإن هذه الأهمية تتعلّق بكونها ـ أي الشهادة ـ لصيقة الصلة بالبنية العقائدية الإسلامية، وعندئذ فليس ثمة غرابة حينما استهدفت ثقافة التحريف هذا المفهوم، وحاولت ضمن محاولة مفضوحة أن تستبيح هذا المفهوم لتسقطه علىٰ مصاديق من شأنها أن تزيّف المفهوم برمته وتخرجه عن الحدود التي أطّره الله بها.

ومن أجل أن نستجلي حقيقة الأمر هنا، لابد لنا من وقفة أُولىٰ مع معنىٰ الشهادة في اللغة والإصطلاح.

يعرّف الراغب الأصفهاني الشهادة والشهود بأنهما: الحضور مع المشاهدة؛ إما بالبصر أو بالبصيرة، لكن الشهود بالحضور المجرّد ـ أي عن المشاهدة ـ أولىٰ، والشهادة مع المشاهدة أولىٰ. . ثم أضاف قائلاً: والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة او بصر.[1]

وقال ابن منظور في لسان العرب: الشهيد الذي لا يغيب عن علمه شيء، والشهيد: الحاضر، وفعيل من أبنية المبالغة. في فاعل، فإذا اعتبر العلم مطلقاً فهو العليم، وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد، ثم قال: والشهادة خبر قاطع تقول فيه: شهد الرجل علىٰ كذا. . ثم قال: المشاهدة: المعاينة.[2]

ونستنتج من ذلك أن الشاهد والشهيد هو الذي حضر أمر شيء محدد، وأحاط بكل تفصيلاته علماً، بحيث أنه يتمكّن معه من التحدث عنه بضرس قاطع، ومن هنا أصبحت الشهادة بمثابة الحلف والقسم[3]، لأن الشاهد حيث أنه يرى الأمر المشهود رؤية الحضور، يغدو

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢٦٧ـــ٢٦٨.
(٢) لسان العرب ٧: ٢٢٢ـ٢٢٣.
(٣) لسان العرب ٧: ٢٢٣.

حديثه عنه حديثاً عن يقين، وبالتالي فهو يحلف على ما تيّقن بحدوثه.

ولو تابعنا الحديث القرآني عن مفهوم الشهادة لوجدنا أنه قد عرض له في مستويات متعددة وفي مواضع عديدة من القرآن الكريم، فمرّة نجد القرآن يسمّي الله [جلّ وعلا] بالشاهد على كل شيء كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾[1] وقوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[2]، وأخرى يصفه بأنه هو الذي يولي دور الشهادة لعباده كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾[3]، والآية الأخيرة في عين تشخيصها بأن الله هو الذي يولي من يشاء من عباده أمر الشهادة، فإنها تشخّص أيضاً أن النبي ﷺ قد أُولي مهمة القيام بهذا الدور، ومن خلال الآية القرانية التالية نستطيع أن نتصور أن هذا الدور لايستطيع القيام به كل من هوت نفسه ذلك، وإنما هو أمر إجتبائي من قبل الله حيث يقول الله جلّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟

(١) النساء: ٣٣.
(٢) سبأ: ٤٧.
(٣) الاحزاب: ٤٥.

ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ * وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [١].

كما أننا يمكننا ومن خلال الآية الكريمة: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[٢] أن نفهم أن دور الشهادة يتعدى المفهوم التشريعي للكلمة إلىٰ الشأن التكويني، الأمر الذي يضفي على حساسية دور الشهادة الشيء الكثير، لما توحيه مقدار العناية الربانية وحرصها علىٰ إتمام دور الشهادة، حتىٰ إذا ما اتمّتها علّلت ذلك بالقول: ﴿ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾، ومن هذه الآية وبضع آيات أخرىٰ كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٣] وقوله تعالىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ

---

(١) الحج: ٧٧ــ٧٨.
(٢) الأعراف: ١٧٢.
(٣) سورة النور: ٢٤.

﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[1] يظهر لنا أن الشهادة مطلوبة لإتمام الحجّة على الناس.

ومن خلال كل ذلك يتبيّن لنا أن الشاهد: هو الذي يكون عالماً بشكل كامل بالشيء الذي يستدعىٰ فيه للشهادة، وكونه عالماً يستدعي أن يكون حاضراً حصول الحدث المستشهد عليه مما يعني حياته في وقت الحدث ويدلّ عليه قول عيسىٰ بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[2]، حيث يشير عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ أن دور الشهادة قد انتفىٰ منه بمجرد ان توفاه الله إليه، وهذه الآية وآية الأعراف السابقة: ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآ﴾ تشير إلىٰ أن دور الشهادة يستمرّ ما دامت الحياة، وأن يستمرّ هذا الدور، فإن طبيعتها تحتاج إلى عدم كتمانها، بل إن من دواعي حجيّة الشهادة الإفصاح عنها وإبرازها، ولهذا عبّر القرآن الكريم ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ

---

(١) يس: ٦٥.

(٢) المائدة: ١١٧.

عَلِيمٌ﴾[1].

وطبيعة الأشياء تظهر لنا حقيقة أنّ الأمر المطلوب بالشهادة عليه كلما كان أكبر، كلما احتجنا إلى مواصفات عليا في ملكات العلم والحياة والعدالة، ولئن كان أمر العلم والعدالة بيّناً، فإن ثمة مشكلة تبدو أمام البعض في شأن حياة الشاهد، وهو يرقب شهادة الرسولﷺ، فمن الواضح أن الرسول قد أوكلت إليه مهمة الشهادة على أمم الأوّلين والآخرين لقوله تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[2]، وكانت من جملة أبرز مهمات نبوته الشريفة أنه قد أرسل شاهداً لقوله جلّ وعزّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[3] وكذا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾[4] فمن الذي سيقوم بدور الشهادة من بعده على أمّته؟ فهاهو عيسىٰ عليه السلام ما إن يتوفاه الله إليه حتىٰ يعلن إنتهاء دور شهادته كما في قوله: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا

---

(1) البقرة: ٢٨٣.
(2) النساء: ٤١.
(3) الاحزاب: ٤٥، وبمضمونها الفتح: ١٨.
(4) المزمل: ١٥.

أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(1) خصوصاً وأن الشهادة علىٰ أمة الرسول ﷺ تحتاج إلى مواصفات أعلى من مواصفات الشهداء السابقين في ملكات العدالة والعلم، وحيث أنّ العلم الموكل إلىٰ رسول الله ﷺ ليس هو من سنخ العلوم البشرية العادية حتىٰ يمكن تحصيله مع الجد والإجتهاد، وإنما هو فوق العلوم البشرية، بالشكل الذي من شانه أن يكون حاكماً علىٰ كل شيء بما فيها العلوم البشرية نفسها، كما أن العدالة المطلوبة من الرسول ﷺ هنا هي في مصاف العصمة، وهذا ما يقتضي أن يكون المتمم لدور الرسول ﷺ في شهادته علىٰ أمته له من العلم ما للرسول ﷺ، وله من العصمة الواجبة في هذا المجال عين ما لدىٰ الرسول ﷺ، وحيث إنّ جهة الحياة لا يمكن تأمينها من خلال فرد واحد، لهذا لابد وأن يتعلق الأمر بجهة؛ أفرادها يتساوون في هذه الملاكات من حيث الأصل،(2) وهذه الجهة يمكن لها أن

---

(1) المائدة: ١١٦ـ ١١٧.

(2) وإن أمكن التفاضل بينهم ليكون الرسول ﷺ أفضلهم، وهم بالتبع له.

تستمر بأداء دور الشهادة، من خلال التعاقب الحياتي.

ومن خلال حقيقة أن دور الشهادة ليس بالشيء الهيِّن الذي يمكن للقرآن أن يتجاوزه من دون توضيح، الأمر الذي يتضح معه أنّه لابد من العثور علىٰ ما يكشف هذا الغموض، وما وجدت آية تتكفل حلّ هذا الغموض بمجموعه كما وجدت في آخر آية من سورة الرعد حيث يقول جلّ من قائل: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1]، ونظراً لهذه الخصوصية تناولتها ثقافة التحريف على نطاق واسع بمحاولة تزييف مفهومها، وتعويم دلالاتها، وهو ما سنتحدث عنه بصورة أكثر تفصيلاً فيما يأتي من حديث إن شاء الله.

---

(١) الرعد: ٤٣.

الفصل الأول

الشهادة
في دلالاتها التفسيرية

تتحدّث الآية الكريمة عن جملة موضوعات أبرزها وجود الشاهد الذي يشهد لرسالة الرسول، وكون هذا الشاهد عنده علم الكتاب، وقد خاض مفسروا العامة جدلاً محتدِماً حول هويّة هذا الشاهد، وتبعاً لذلك اختلفوا في الموقف من هويّة هذا الكتاب الذي وصف هذا الشاهد بأن لديه علمه، فهل هو علم اللوح المحفوظ فيتناسب مع الكتاب المشار إليه في الآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1]؟ أم أن المراد به القرآن الكريم؟ أم أن المراد به هو كتب أهل الكتاب؟ وتبعاً لذلك أيضاً اختلفوا في أن سورة الرعد ومعها هذه الآية الكريمة، أو بمعزل عنها كانت مدنية أو مكّية، وقد خاض التعصب الطائفي والمذهبي بدلوه بصورة غدت فيه بعض صفحات الحديث عن ذلك مثيرة للعجب، ومن مهمتنا هنا أن

---

(١) النمل: ٤٠.

نخوض في هذا الحديث كي نستجلي الصورة المطابقة للفهم القرآني.

سورة الرعد مكية أم مدنية؟

اختلف المحدّثون التفسيريون في موضع نزول سورة الرعد، فهل أنها نزلت في مكة أم في المدينة؟ وثمرة البحث في هذه المسألة هنا تتعلق في طبيعة دفاع بعض أهل التفسير من العامة عما إذا ما كان عبد الله بن سلام وأضرابه من علماء أهل الكتاب هم من عنتهم الآية بمن عنده علم الكتاب أم لا، فالذين قالوا أنها نزلت بمكة حاولوا ان يدفعوا كونها نزلت في هؤلاء، فلقد روىٰ السيوطي عن سعيد بن منصور؛ وابن جرير؛ وابن المنذر؛ وابن أبي حاتم، والنحاس في ناسخه، عن سعيد ابن جبير رضي الله عنه أنه سئل عن قوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أهو عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: كيف؛ وهذه السورة مكية.[1]

وروىٰ ابن جرير قال: حدثني المثنىٰ قال: حدثنا الحجاج بن المنهال قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤: ٦٩.

قال: قلت لسعيد بن جبير: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أهو عبد الله بن سلام قال: هذه السورة مكية، فكيف يكون عبد الله بن سلام.[1]

وعليه يحاول هذا الفريق أن يقول بمكية السورة كي يخرج علماء أهل الكتاب الذين أسلموا في المدينة من أن يصدق عليهم مفهوم من عنده علم الكتاب.

وعلىٰ عكس هؤلاء نجد فريقاً آخراً يقول بمكية السورة فيما خلا هذه الآية وآية أخرىٰ نزلت بالمدينة، فلقد روىٰ الجوزي، عن أبي صالح فيما رواه عن ابن عباس أن السورة مكية : إلا آيتين منها، قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ إلىٰ آخر الآية﴾[2]، وقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[3] في مهمة واضحة ـ حسب الظاهر ـ للرضوخ للروايات التي تقول بنزول الآية بحق عبد الله بن سلام وأضرابه كتميم الداري

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري) ١٣ : ١١٩.
(٢) الرعد: ٣١.
(٣) زاد المسير في علم التفسير ٤ : ٢٢٣. وقريب منه قال الكلبي ومقاتل فيما نقله عنهما الطبرسي في مجمع البيان ٣: ٤١٩.

والجارود وسلمان الفارسي.[١]

علىٰ أنّ أقوالاً أخرىٰ أجملت نزول السورة في المدينة كما ذكره الزركشي حيث قال: فأول ما نزلت فيها ـ أي المدينة ـ إلىٰ أن قال: ثم محمد ثم الرعد.[٢] إلا أنه عدّ السورة ضمن ما نزل بالمدينة وحكمه مدني قائلاً: سورة الرعد يخاطب أهل مكة، وهي مدنية.[٣]

ثم استثنىٰ من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[٤] فقال: نزلت بالحديبية حين صالح النبيﷺ أهل مكة، فقال رسول الله ﷺ لعلي: أكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال سهيل بن عمرو: ما نعرف الرحمن الرحيم، ولو نعلم انك رسول الله لتابعناك، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ﴾ إلىٰ قوله تعالى: ﴿مَتَابِ﴾[٥]، ثم استثنىٰ من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ

---

(١) أنظر تفسير الطبري ١٣: ١١٩، الدر المنثور ٤: ٦٩، زاد المسير في علم التفسير ٤: ٢٥٢.
(٢) البرهان في علوم القرآن ١: ٢٥١.
(٣) ن.م ١: ٢٥٢ـ٢٥٣.
(٤) الرعد: ٣٠.
(٥) البرهان في علوم القرآن ١: ٢٥٥.

﴿ٱلۡجِبَالُ﴾ إلى قوله تعالىٰ: ﴿جَمِيعًاۗ﴾[1].

وقد نقل السيوطي عن ابن الضريس وأبي عبيد كل في كتابه (فضائل القرآن) وكذا عن أبي بكر بن الأنباري قولهم بنزولها في المدينة[2]

ونقل عن أبي الشيخ؛ وابن مردويه، عن ابن عباس؛ وعن ابن مردويه، عن ابن الزبير أنها مدنية، وعن ابن المنذر؛ وابي الشيخ، عن قتادة انها مدنية إلاّ آية مكية: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾[3].

وقال الجوزي: اختلفوا في نزولها علىٰ قولين: والثاني: انها مدنية، رواه عطاء الخراساني، عن ابن عباس، وبه قال جابر بن زيد، وروي عن ابن عباس أنها مدنية، إلا آيتين نزلتا بمكة. . الخ.[4]

ونقل الطبرسي فيما نقله من أقوال العامة عن الحسن البصري وعكرمة وقتادة قولهم انها مدنية إلاّ آيتين نزلتا بمكة ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ﴾ وما بعدها.[5]

---

(١) ن.م ١: ٢٦٠.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١: ١٠ــ١١.

(٣) الدر المنثور ٤: ٤٢.

(٤) زاد المسير ٤: ٢٢٣.

(٥) مجمع البيان ٣: ٤١٩.

وعلىٰ أي حال فإن جميع من قال بنزول آية: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بحق علماء أهل الكتاب، أو قال بكون الكتاب المشار إليه في الآية إنما هو كتاب أهل الكتاب، فقد قال بنزولها في المدينة، لأنّه لا يعقل أن تنزل في مكة وأولئك إنما أسلموا في المدينة.

وعلىٰ خلاف هؤلاء فقد قال جمع من المفسرين بنزولها في مكة حيث روىٰ السيوطي عن النحاس في ناسخه، عن ابن عباس؛ وعن سعيد بن منصور، عن سعيد بن جبير كونها نزلت في مكة.(١)

ونقل عن أبي الحسن بن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ قوله في قصيدة مطلعها:

ياسائلي عن كتاب الله مجتهداً
وعن ترتيب ما يتلىٰ من السور

إلىٰ أن يقول:

هــذا الذي اتفقت فيه الرواة له
وقــد تعارضت الاخبار في أخر
الرعــد مختلف فيهـا متىٰ نزلت
وأكثر الناس قالوا الرعد كـالقمر

---

(١) الدر المنثور ٤: ٤٢.

وانتهىٰ السيوطي بعد ذلك إلى القول: والذي يجمع به بين الاختلاف أنها مكية إلا آيات منها.[1]

ونقل الجوزي عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس كونها مكيّة قال: وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة، وروىٰ أبو صالح عن ابن عباس أنها مكّيّة إلا آيتين منها.[2]

ونقل الطبرسي في نقله أقوال العامة عن ابن عباس وعطاء قولهم بمكّيّتها، وعن الكلبي ومقاتل قولهم بذلك بإستثناء آخر آية منها نزلت في عبد الله بن سلام.[3]

ونقل الآلوسي من طريق مجاهد عن ابن عباس، كونها مكية أيضاً.[4]

ولكن العلامة الطباطبائي(رضوان الله تعالىٰ عليه) أكّد علىٰ مكيّة السورة فقال: والسورة مكيّة كلها علىٰ ما يدلّ عليه سياق آياتها، وما تشتمل عليه من المضامين، ونقل عن بعضهم أنها مكية إلا آخر آية منها فإنها نزلت

---

(١) الاتقان في علوم القران ١: ١٢ـ١٣.

(٢) زاد المسير ٤: ٢٢٣.

(٣) مجمع البيان ٣: ٤١٩.

(٤) روح المعاني ١٣: ٨٤.

بالمدينة في عبد الله بن سلام، وعزي ذلك إلىٰ الكلبي ومقاتل، ويدفعه أن مختتم السورة قوبل بها ما في مفتتحها من قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ .[1]

ولا يكاد بالإمكان أن يخرج المدقّق في تفاسير العامة بقول قاطع بجمع هذه المتعارضات، إلا أنه من الواضح أن الصفة المكّيّة تلوح عليها أكثر من الصفة المدنيّة، كما في حديثه تعالىٰ الكثير عن الذين كفروا، وتركيزه بالتبع إلىٰ ذلك علىٰ الحديث العقائدي المرتبط بهم، وهي حالة تمّت في الغالب في مكة، إلا أن بضعة آيات منها قد تلوح عليه هو الآخر الصفة المدنية كما في الآيات ٢٢، ٣١، ٣٦.

وعلىٰ الرغم من تفسيره الكتاب بكونه كتاب أهل الكتاب أي علوم التوراة والانجيل،[2] مما يقتضي علىٰ الأقل مدنية الآية؛ إلا أنّ محمد حسين فضل الله ظلّ متردداً في الطبعة الأولى من كتابه «من وحي القران» في موضع نزول الآية.[3]

وبقدر تعلّق الأمر بمبحث الكتاب فإن تحديد مكّيّة

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ١١ : ٢٨٦.

(٢) من وحي القرآن ١٣ : ٨٠ ــ٨١. دار الزهراء ــ بيروت.

(٣) من وحي القرآن ١٣ : ٥.

أو مدنيّة الآية لايغدو بذي بال،[1] طالما أن مسألة من عنده علم الكتاب، وكذا مسألة هوية الكتاب يمكن حلّها قرآنيا بالصورة التي تخرجها عن إطار تخرصات العلوم البشرية وأهواء المناهج التحريفية، كما سيتضح ذلك في مطاوي الحديث.

---

(١) بمعنىٰ أن موضوع البحث وهو التفتيش عن هوية هذا الذي عنده علم الكتاب يمكن ان نعالجه وفق منهج المواصفات التي تطرحها نفس الآيات القرآنية دون ان نقع في تخبطات واضطراب المفسرين التي هي في هذا المجال مجرد ظنون وتخرصات ذاتية.

أي شاهد.. وأية شهادة؟

ليس من العسير ملاحظة أن أحد المهمات الكبرىٰ التي أوكلت إلىٰ رسول الله ﷺ هي كونه مرسلاً كشاهد من السماء علىٰ العالمين وهو ما يحكيه قوله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[1] وكذا قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[2] وأيضاً قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾[3]، وإزاء هذه المهمة الكبرىٰ لابد لنا وأن نتساءل بجدية ومسؤولية عما إذا كانت هذه المهمة قد استوفت أغراضها في حياة الرسول ﷺ بحيث أنّ الشارع المقدس لم يعد بحاجة لأحد كي يقوم بهذه المهمة بعد وفاته ﷺ، أم أن الأمر ليس بهذه السذاجة بحيث ان الشهادة تنتفي بمجرد وفاة الرسول ﷺ ، وإنما لابد من وجود من يتمّ هذا الدور بعد وفاته(بأبي وأمي)؟.

---

(١) الاحزاب: ٤٥.

(٢) الفتح: ٨.

(٣) المزمل: ١٥.

ولو رجعنا للغايات الإلهية التي تقف وراء الشهادة والتي تشير إليها الآيات القرانية الكريمة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾[1] لوجدنا أن طبيعة إلقاء الحجة الربانية كاملة علىٰ بني آدم لا تتوقف عند قوم دون آخرين، وإنما يجب سريانها علىٰ جميع الأقوام والأمم، وذلك لأن هذه الغاية رافقت البنية التكوينية لبني آدم، ولذا فإن من الطبيعي بمكان أن يتلازم بقاء الجنس البشري، مع بقاء هذه الحجة، وإن إنتفاء أحدهما يستلزم إنتفاء الثاني لإستحالة أن يقال أن الإرادة الربانية إرادة عابثة في مخلوقاتها.

ولا أعتقد أن ثمة عسر في الوصول إلىٰ تلازم آخر، وهو تلازم أمر الشهادة مع وجود المعاينة، فليس من معنىٰ للشهادة بمعزل عن أن يكون الشاهد معايناً لما سيشهد به، ومع هذا الحال يتبدىٰ للوهلة الأولىٰ أن ثمة تناقض بين هذا المفهوم، وبين مفاد الآيات التي أشارت إلىٰ شاهدية الرسول، وقد أشير إلىٰ هذه الشاهدية بمعنىٰ مطلق، الأمر الذي يعني أن شهادة الرسول لا تتوقف عند زمانه فحسب، بل هي تمتد إلىٰ ما بعد زمانه الشريف

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

بالمصاف مع إنذاره وبشارته ﷺ.

ولا يمكن حلّ هذا التناقض إلا من خلال القول بأن الشهادة دور ومهمة، وهذه المهمّة يمكن ان تُوكَلَ إلىٰ وكيل هو كالأصيل في إتمام هذا الدور، نتيجة لتحقق خصائص ومواصفات الشهادة في شخصيته، وهذا ما يلتقي أيضاً مع جملة من الآيات القرانية التي أشارت إلىٰ وجود شهادات سابقة لحياة الرسول ﷺ كما في الآية الكريمة: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[1]، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾[2] وهما يشيران وبوضوح إلىٰ وجود شهادة لأنبياء ورسل وأوصياء الأمم، واعتبار الرسول ﷺ الشاهد علىٰ هؤلاء جميعاً، وحيث أن الرسول لم يكن حاضراً في حياة تلك الأمم، لهذا لا يمكن فهم هذه الآيات إلاّ من خلال اعتبار شهادات الأنبياء عليهم السلام في طول شهادته ﷺ أي هي شهادات وكلاء تتجمع لدىٰ الوكيل الأصيل، وهذه الأخيرة ـ أي شهادته علىٰ الأمم السابقة ـ والتي تلتقي مع مفهوم كونه سيد الأنبياء والمرسلين، تستلزم

---

(١) النساء: ٤١.

(٢) النحل: ٨٩.

أن يستمر دور الشهادة إلىٰ الأمم اللاحقة لحياة الرسول ﷺ فهو شاهد علىٰ جميع الأمم وهذا ما يلتقي مع مفهوم نظرية النص الإلهي التي تعتمدها الإمامية[1]، والتي تعني إستمرار دور شاهدية الرسول ﷺ من خلال شهادة الأئمة عليهم السلام علىٰ مجتمعاتهم، ومن دون ذلك فإن الحديث عن إستمرارية دور الرسول في الشهادة يغدو فارغاً من محتواه، وذلك لاستلزامها لمواصفات لايمكن أن توجد عند أحد غيرهم كما سنوضح ذلك إن شاء الله تعالىٰ.

ويخالف محمد حسين فضل الله هذا الإتجاه، ويتبنىٰ توسيع مبدأ الشهادة ليشمل: «الطليعة الواعية المؤمنة التقية المنضبطة التي تفهم الإسلام حقّ الفهم وتعيه حقّ الوعي وتمارسه حقّ الممارسة وتحمله بروح رسولية رائدة إنها النخبة الواعية الموجودة في كل زمان ومكان التي يقف الائمة الطاهرون والعلماء الواعون

---

(١) **نظرية النص الإلهي**: هي المقولة التي تقول بأن الرسول ﷺ لم يترك أمته هملاً دون راع، وإنما نصّ على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام بتكليف من قبل الله جلّ وعلا، وذلك ضمن تفصيل استعرضنا بعض جوانبه في كتابينا: القائد.. القيادة والإنقياد في سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكذا كتابنا: الإمامة.. بحث في الضرورة والمهام (قيد الإتمام).

والأولياء الطيبون والمجاهدون العاملون الذين يحملون هذه الشهادة إلىٰ الله لأنهم يعيشون روح الرسالة ويعيشون من خلالها الوعي لكل حياة الناس كما هو الرسول في رسالته وفي وعيه لأمته». [1]

وهو قول يشبه إلى حدٍّ بعيد قوله في توسعة مفهوم ولاية الأمر الواردة في الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [2] ليخرجها من إطار الإمامة ـ كما هو نص الروايات الموثوقة في هذا الشأن ـ إلىٰ الأوسع من هذه الدائرة بحيث يدخل في ذلك غيرهم. [3]

وهو ما لايمكن الركون إليه أولاً: لعدم وجود دليل يدلّ عليه، في وقت نجد أن الروايات الموثوقة ـ كما سيأتي بعد ذلك ـ تحصر الشهادة بأهل البيت عليهم السلام كجهة عليا ونهائية للشهادة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) مجلة المعارج(عدد خاص بفكر فضل الله) مقال: «الوسط والشهودية مشروعان لإنقاذ الحضارة» الأعداد: ٢١ ـ ٢٣ ص١٦٧ـ ١٦٨.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) أنظر تفسيره: من وحي القرآن ٧: ٢٣٠ دار الزهراء؛ الطبعة الأولىٰ.

وثانياً: إن ما أدخله من مصطلحات ما هي إلا عبارات فضفاضة ومبهمة، فأي فهم هو حقّ الفهم؟ وأي وعي هو حقّ الوعي؟ وأي ممارسة هي حقّ الممارسة؟ وهذه علىٰ أي حال تحتاج إلى سقف محدد حتىٰ يمكن لنا أن نقول حين الوصول إليه من قبل أحد أنه قد وصل إلىٰ حدود هذه المفاهيم وأنه قد غدا مصداقاً لها، وبغيرها فإنها تعدو كلمات تتسع لكل شيء، ويمكن أن يخرج منها كل شيء.

وثالثاً: ولا نحتاج إلى تحديد مفهوم هذه المصطلحات فقط، وإنما نحتاج إلىٰ تحديد هوية هذه المفاهيم، فالوعي المطلوب ضمن أي صنف علمي نحتاجه، فالفهم والوعي المراد هنا إن كان في خصوص الرسالة، فيحتاج إلىٰ جهة تكون عالمة بكل شؤونها، كي تتمكن من الشهادة عليها، وهذا ما لايمكن لعالم او ولي أو مجاهد الإدعاء بتمكّنهم منه، وذلك لأن هذه الجهة ينبغي أن يكون علمها بهذه الرسالة إما بمستوىٰ الرسالة نفسها او أعلىٰ من مستواها، كي تتمكن من الشهادة، حيث لا يعقل أن نأتي بشاهد لم يحط بكل تفاصيل الرسالة، وإن كانت الممارسة المدعاة هنا تعني السلوك، فهي الأخرىٰ لايمكن ان تتقبّل هذه العناوين، لأن الممارسة المحقّة تستدعي العصمة، وهو مما لا ينطبق

علىٰ هؤلاء بأي حال من الأحوال.

ورابعاً: إن طبيعة الشهادة تحتاج إلى مواصفات أساسية، فالشاهد ينبغي أن يكون أعلم الموجودين بشأن ما يشهد به، وإذا كان مفاد الشهادة هو الرسالة، فلابد إذن من أن يكون هو الأعلم بهذه الرسالة، سيّما وأن بعض الآيات تتحدث عن تمكّن الشاهد من الشهادة علىٰ بينات الله كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[1] وهذا أمر لا يمكن حصوله إلا من خلال علم إستثنائي، فالرسالة إن كانت تعبّر عن العلم الإلهي في بعض صوره، فالشاهد علىٰ تبليغه يفترض أن يكون علمه في مصافّه، وأن يكون كذلك فالواجب ان يكون تلقّيه لهذا العلم من معدنه، أي أن يكون علمه إلهياً، ومن قبل الله، مما يعني ان تعلّمه لن يكون من خلال الطرق التقليدية للتعليم، وهذا ما يجعل الشاهد إستثنائياً في علمه أيضاً، ولن يكون هذا الشخص بهذا المستوىٰ إلا من خلال كونه شخصاً قد اصطفاه الله لذلك.

والشاهد لابد وأن يكون عادلاً في الإدلاء بشهادته بحيث أنّه لايكتمها مهما كانت الظروف، فلابد وأن يكون

---

(١) هود: ١٧.

معصوماً، إذ لا معنىٰ لتعلّق مفهوم الحجّيّة علىٰ حضور الشاهد في الوقت الذي لا تكون فيه عملية الإدلاء بالشهادة محسومة بشكل قطعي، ولا قطع في هذا المجال من دون العصمة.

ويتأكد كل ذلك من خلال التأمل الدقيق في مرامي الآية الكريمة التي تتحدث عن مواصفات الشاهد حيث قال جلّ من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ * وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[1] فما أشار إليه سبحانه وتعالىٰ هنا إنما هو الصورة الفضلىٰ لهذه الأعمال، فليس الركوع هنا أي ركوع، وليس السجود هنا أي سجود، وليست العبادة أية عبادة، وإنما هي صورة في بعدها المطلق، ومما لاشك فيه أن هذه الصورة لايمكن تحققها، إلاّ من خلال العصمة.

علىٰ أن ملكة العدالة والعلم في هذا المجال لا

---

(١) الحج: ٧٧ـ٧٨.

تكفي وحدها، وإنما لابد من أن يكون لدىٰ الشاهد قابلية الشهادة من حيث الإستعداد لحمل عبئها من جهة، والإحاطة بساحات الشهادة وأدائها (أماكن وأزمان) من جهة أخرىٰ، فهذا القرآن يحدّثنا عن أن زمن الشهادة العامة لايسمح لكل أحد بالقيام بها كما في قوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾[1] وقول الصواب المطلق كما ترىٰ يستلزم من الشخص أن يكون بمؤهلات عالية عند الله، بحيث يدعه يتكلّم في يوم وصف بأوصاف رهيبة من جملتها ما وصفته الآية الكريمة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[2]، وهـــذه المواصفات أقلّها أن من لم يكن مطمئناً علىٰ نجاته يومئذ، فهو في شغل عن الشهادة علىٰ نفسه ولها، فضلاً عن الشهادة علىٰ غيره وله، وهذا الأمر هو الآخر يدلّنا مرة أخرىٰ علىٰ ضرورة أن يكون الشاهد معصوماً علىٰ

---

(١) النبأ: ٣٨.

(٢) الحج: ١ـ٢.

الأقل،[1] بحيث أنه يقدر ـ نتيجة لإطمئنانه ـ أن يشهد حينما يدعىٰ للشهادة.

علىٰ أن هذه الأهلية إن لم تلتزم بوجوب تمتّع الشاهد بمواصفات استثنائية خاصة، تصطدم بإمكانية الشهادة علىٰ الجوارح، وتصطدم أيضاً بالشهادة علىٰ عوالم الجن، وهؤلاء يدخلون في مقتضياتها، لتحقق الطلب الإلهي منهم بالعبادة، مما يستلزم الثواب والعقاب، ومعهما يصبح وجود الشاهد عليهم واجباً، ولكونهم أمم أمثالكم، وكذا الشهادة علىٰ عالم الملائكة بما فيهم ملائكة الوحي، فضلاً عن الملائكة الكاتبين، لأن الملائكة أمة من الأمم، وهذه تدخل في مفاد قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ فأين كل ذلك من فرضية النخبة والطليعة الواعية؟!.[2]

---

(١) نقول: على الأقل؛ لأننا نلاحظ أن الله لم يستدع الأنبياء كشهداء منفردين، وجميعهم من أهل العصمة، وإنما استدعىٰ الرسولﷺ ليكون شاهداً علىٰ هؤلاء، مما يشير إلىٰ أن المطلوب من الشاهد كلما تقدمت منزلته ومرتبته أمر أكثر من العصمة، ولكن ما تحدثنا عنه هو في الحدود الدنيا لهذا الأمر.

(٢) يشير العلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالى عليه) إلى اتساع =

وأخيراً فإني أعتقد أن الآية الكريمة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[1] كفيلة بتبيان الفارق بين الشهداء وغيرهم من أصحاب الكفاءات التي أشار إليهم صاحب الشبهة، فعلىٰ أحسن التقادير تكون النخبة والطليعة الواعية وأصحاب الجهاد والعمل هم من درجة الصالحين، وهي درجة دون درجة الشهداء مما يجعلهم يمتازون الواحد عن الآخر. فلا تغفل.

وإذا ما كان الشاهد يحتاج إلى مواصفات من هذا القبيل، فإن من العبث بمكان ان نفتّش عن شهود لا يمتلكون مواصفات الشهادة في حدودها الدنيا، فكيف بما

= دائرة الشهادة بحيث أنها تشمل كل ما له تعلق ما بالعمل فيدخل علاوة على ما أشرنا إليه عالم الزمان والمكان والدين والكتاب. أنظر الميزان في تفسير القران ١: ٣١٩؛ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت؛ طبعة ١٩٩١.

والحق ما قال العلامة، فطبيعة الحجية الإلهية الكاملة تتطلب من جميع الشهود الإدلاء بشهاداتهم، وواضح أن الزمان والمكان من الشهود الأساسيين علىٰ كل حدث، الأمر الذي يدخلهم في دائرة المعنيين بالشهادة، ومن هنا كان الشاهد، شاهداً علىٰ الزمان والمكان.

(١) النساء: ٦٩.

يفوقها، خصوصاً إذا ما كان الحديث يخلو من الدليل الشرعي المتوازن، المنسجم مع بقية الآيات القرانية، والمدعوم بالسنّة الصحيحة الصادرة عن المعصوم عليه السلام، وهو الأمر الذي عمد إليه أهل التفسير والحديث من المدارس المخالفة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وذلك لذودها عن أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده من الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وتابعهم علىٰ ذلك محمد حسين فضل الله في كتابات وأحاديث متعددة صدرت عنه قديماً وحديثاً.

ومن شأن التأمل الدقيق في مفاد آية الرعد مورد البحث أن يجعلنا نسلّط الضوء بشكل حاسم علىٰ كلّ ما أشرنا إليه من أمور، ونعرّي طبيعة المنهج الذي يعتمدونه من أجل سوق الأمة بإتجاه فهم قرآني أبتر، تتعوّم فيه المفاهيم، وتبهم المصاديق، ليمكن بالتالي تسخير القرآن للمآرب الطائفية والمذهبية، وإيجاد وعي تسطيحي قد تراه يمتاز بكمال الدقة في إملائيات القرآن، ولكنه أمي في فهم مفاهيمه.

وهذا التأمل هو ماسنحاول إثارته في الأسطر القادمة إن شاء الله تعالىٰ.

الآية في دلالاتها التفسيرية

للمفسرين العامة إتجاهات متعددة للتعرّض للآية، وإن كان المبنىٰ الرئيسي لهم هو الحصول علىٰ موقف مناسب من العنوان الضخم الذي حددته الآية بوجود من ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو عنوان يمكن ان يقدّم إغراءات كثيرة في أي صراع مذهبي، وبالتالي فإن أي صراع مذهبي لايمكنه التنصّل من مصداق هذه الآية، ولهذا قد نجد بعض أهل التفسير يمارسون من التعسف في تطويع مراد الآية بشكل قد يقترب من مقولة الإعراب على طريقة: «**منصوب وعلامة جرّه الضمّة الظاهرة في أوّله!**» وذلك للإشارة إلىٰ حجم التخبط الذي يعتري مقولة بعضهم، وعملاً بمنهجنا المعتاد فسنحاول هنا أن نسلّط الضوء علىٰ إتجاهات المفسّرين ونخضعها للنقد، فما وافق الحق فالحقّ أحقّ بأن يتبع، وما خالفه فما أولانا بمخالفته والإعراض عنه، والله الموفّق والمسدّد لطريق الصواب.

الإتجاهات التفسيرية

تنحو إتجاهات التفسير إلىٰ تحديد ثلاثة مسارات لتفسير الآية، وهذه المسارات هي:

هل هو شاهد واحد؟

أ ــ يصرّ الإتجاه الأول علىٰ إعتبار الشاهد في الآية واحداً، أي أنه الله جلّ وعلا، وأصحاب هذا الإتجاه ينقسمون بشكل عام إلىٰ ثلاثة أقسام:

أولهما: من يفسّر الآية بعبارة: من عند الله علم الكتاب، وهو ما رواه غير واحد من مفسري العامّة؛ فلقد روىٰ الطبري ذلك عن ابن عباس[1]؛ ومجاهد؛

(١) فيما رواه أهل العامة من تفسير ابن عباس فيما عرف بتنوير المقباس لم يرد هذا المعنىٰ، بل إنه أراد الإتجاه الثاني من =

والحسن؛ وسعيد بن جبير؛ وهارون؛ والضحاك بن مزاحم.[1] وتابعه الجوزي فيما رواه عن مجاهد والحسن،[2] وتابعهما السيوطي علىٰ ذلك غير أنه أضاف أسماء كل من عمر وابنه عبد الله[3].

وقد نقل الرازي عن الزجّاج قوله مستدلاً: الأشبه أن الله لا يستشهد علىٰ صحة حكمه بغيره.[4]

وثانيهما: من يفسر الآية بالقراءة الشاذة: «مِنْ عنده عُلِمَ الكتاب» وقد رووها عن مجاهد ، وقال الجَوزَي: اختاره الزجاج، وهي قراءة ابن السميفع وابن أبي عبلة ومجاهد وأبي حياة.[5]

وثالثهما: من يفسر الآية بقراءة شاذة أخرىٰ تروىٰ

= التفسير وهو ما سنتحدث عنه لاحقاً «أنظر تنوير المقباس المطبوع في هامش الدر المنثور ٣: ٢٧».

(١) تفسير الطبري ١٣: ١١٩

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٤: ٢٥٢.

(٣) الدر المنثور ٤: ٦٩.

(٤) مفاتيح الغيب أو تفسير الرازي ١٩: ٧٢.

(٥) تفسير الطبري ١٣: ١١٩، زاد المسير ٤: ٢٥٢.

عن الحسن البصري هي: «مِنْ عِندِهِ عِلْمُ الكتاب».[1]

* * *

ولكن هـذا الإتجاه الذي حاول أن يتنصّل من مقولة علماء الكتاب فقال بكون السورة مكية، ومن أجل أن يبعد عقيدة الإمامية في هذا الشأن حاول أن يلغي وجود شاهد آخر علىٰ رسالة الرسول ﷺ، ولكن محاولاته هذه لم تمنعه من أن يسقط أسير تعسفاته فاعتمد قراءات شاذة لايعوّل عليها، بل وحاول تسهيل الصعب وتصعيب السهل.

فهو استساغ أن تعطف الذات وصفتها علىٰ نفس الذات، وهو قبيح في اللغة، واستصعب أن يستشهد الله بغيره علىٰ صحة حكمه، كما أشار الزجاج، فيما نجد أن القرآن يقدّم العديد من الشواهد علىٰ جواز ذلك.

وتبيانه إنه علىٰ تقدير صحة هذا الإتجاه نكون قد

---

(١) انظر نفس المصادر والزمخشري في تفسيره الكشاف ٢: ٣٦٤، والبيضاوي في أنوار التنزيل ٢: ٣٤٩.

عطفنا الله الموصوف بالشهادة علىٰ الله مرة أخرى، ليكون تقديره هكذا: الله الشاهد والله، وهو مما لايستقيم بلاغة في اللغة، فكيف بأبلغ الكلام؟ ولهذا تجد الرازي يعترض فيقول: وهذا القول مشكل، لأنّ عطف الصفة علىٰ الموصوف، وإن كان جائزا في الجملة، إلّا انه خلاف الأصل، لايقال: شهد بهذا زيد والفقيه، بل يقال: شهد به زيد الفقيه.[1]

وقد علّق العلامة الطباطبائي علىٰ ذلك بقوله: وهو قبيح غير جائز في الفصيح، ولذلك ترىٰ الزمخشري لما نقل في الكشاف هذا القول عن الحسن بقوله: وعن الحسن: لا والله ما يعني إلا الله قال بعده: والمعنىٰ كفىٰ بالذي يستحق العبادة، وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح إلا هو شهيداً بيني وبينكم. انتهىٰ[2] فاحتال إلى تصحيحه بتبديل لفظة الجلالة (الله) من (الذي يستحق العبادة) وتبديل (من) من (الذي)، ليعود المعطوف والمعطوف

---

(١) أنظر تفسير الرازي ١٩ : ٧٢.
وقد تابعه في ذلك الخازن في تفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل ٣: ٦٩، وكذا النيسابوري في غرائب القران ورغائب الفرقان المطبوع في هامش تفسير الطبري ١٣ : ٩٩.
(٢) الكشاف ٢: ٣٦٤.

عليه وصفين، فيكون في معنىٰ عطف أحد وصفي الذات علىٰ الآخر، وإناطة الحكم بالذات بما له من الوصفين كدخالتهما فيه.. فافهم ذلك، لكن من المعلوم أن تبديل لفظ من لفظ، يستقيم إفادته لمعنىٰ لا يوجب استقامة ذلك في اللفظ الأول وإلا لبطلت أحكام الألفاظ.(١)

أما قولهم بأن الله لا يستشهد بغيره علىٰ صحة حكمه، فلعمري ها هو القرآن يقدم الكثير من الشواهد على خلاف ذلك كما ترىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا * رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا * لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾(٢).

ولذلك ترىٰ الرازي يستبعد هذا المعنىٰ فيقول معقباً علىٰ ذلك: لما جاز أن يقسم الله تعالىٰ علىٰ صدق قوله

---

(١) الميزان في تفسير الميزان ١١: ٣٨٧.
(٢) النساء: ١٦٣ــ١٦٦.

بقوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾[1] فأي امتناع فيما ذكره الزجّاج.[2]

وكيفما يكن فإن من الواضح جداً أن هذا الإتجاه قد استغرق في البعد عن ظاهر مؤديات العطف، وما لم توجد قرينة قاطعة لايمكن حمل الظاهر على خلافه، علىٰ أن الأغلب من هؤلاء، قد علّل اللجوء إلىٰ ذلك بسبب عدم إمكانية تصوّرهم بوجود من له علم بشؤون اللوح المحفوظ بالإطلاق الذي تشير إليه الآية الكريمة، في الوقت الذي نفوا فيه أن يكون علماء أهل الكتاب هم أصحاب الآية، وستقف بعد ذلك علىٰ أن هذه الإمكانية موجودة، وبالتالي فلا مجال لكل هذا التعسف.

---

(١) التين: ١.

(٢) تفسير الرازي ١٩: ٧٢.

هل الشاهد علماء أهل الكتاب؟

ب ـ أما الإتجاه الثاني: فهو ما يعمد إليه العديد من المفسّرين من العامة، وينضمّ إليهم التحريفيون المعاصرون، ويبلور هذا الإتجاه أفكاره من خلال إدعاء أن المقصود في هذه الآية هم علماء أهل الكتاب من الذين أسلموا علىٰ يد رسول الله ﷺ كسلمان الفارسي وتميم الداري والجارود وابن يامين وعبد الله بن سلام وغيرهم، وأغلب حديث هؤلاء ينصبّ علىٰ ذكر عبد الله ابن سلام بعنوانه: «من عنده علم الكتاب» ولدىٰ هؤلاء يكون الكتاب الذي تحدثت عنه الآية هو كتاب أهل الكتاب من توراة وإنجيل وما إلىٰ ذلك.

فلقد روىٰ هذا المعنىٰ الطبري، عن عبد الله بن سلام؛ وابن عباس؛ ومجاهد؛ وقتادة[1]، وأضاف الجوزي إلى ذلك الحسن؛ وعكرمة؛ وابن زيد؛ وابن

---

(١) تفسير الطبري ١٣ : ١١٨ ـ ١١٩.

السائب؛ ومقاتل؛ وشمر،[1] وتابعهم السيوطي فيما رووه إلا أنه أضاف جندب[2]

وقد تابع محمد حسين فضل الله هؤلاء فيما حدّثوا به فقال تعقيباً علىٰ سؤال في هذا الصدد: هناك رواية[3] تقول إنه عليّ(ع)، وهناك روايات[4] تنطلق من سياق الآية أي أن النبي(ص) كان يستشهد بالاشخاص الذين يملكون علم الكتاب حتّىٰ يعرّفوا المسلمين بأن النبيّ (ص) مذكور في التوراة والإنجيل ولعله هو الأقرب لأنّ الإمام(ع) كان مع النبي فكيف يستشهد به وهم لا يقرّون علمه.[5]

و حينما سُئِلَ عن المقصود بهذه الآية حسب

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٤ : ٢٥١ـ٢٥٢.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤ : ٦٩.

(٣) لا أعرف إن أراد وجود هذه الرواية لدىٰ الإمامية أو ما عداهم، وفي كل الحالات فالروايات الموجودة هنا عديدة لدىٰ العامة، ومستفيضة لدىٰ الإمامية، وهي بالتالي ليست برواية واحدة.

(٤) لا ريب أن هذه الروايات لاتوجد لدىٰ الإمامية. فتأمل.

(٥) جريدة فكر وثقافة العدد: ٢٢ بتأريخ ٢٣/١١/ ١٩٩٦، وكذا كتاب الندوة ٢ : ٣١٦ الطبعة الأولىٰ ـ دار الملاك ـ بيروت ١٩٩٧.

«الرواية الموثوقة عن أهل البيت» أعاد نفس القول الأول مع بعض التوضيح ننقله بالنص: هناك رواية تقول بأن المقصود به هو علي(ع) باعتبار أنه يملك علم الكتاب، ولكن الظاهر[1] من الآية أنها تتحدث عن أهل الكتاب الذين يعلمون الكتاب، والوجه في ذلك أن النبي كان في مقام الإحتجاج عليهم بما يكون حجة عليهم، والإمام علي(ع) هو تلميذ النبي(ص) لذلك فالآية من قبيل ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] بالبينات، ذلك

---

(١) هذا الظاهر إن قال بوجوده بناء على روايات أهل البيت عليهم السلام فلعمري قد ادّعىٰ ما ليس له وجود، بل علىٰ العكس تقف روايات أهل البيت عليهم السلام علىٰ النقيض من ذلك تماماً، كما سيتبين لنا من الحديث عن الجانب الروائي في هذا المجال.

وإن قال به ـ بعد إسقاط الروايات ـ بناء علىٰ ما يشير إليه في العديد من كتبه بأنه يستوحي من القرآن ما يراه قابلاً للاستيحاء،(*) فإن ذلك من إستحساناته العقلية، دون مستند شرعي، ويكون بذلك قد خالف ـ مرة اخرىٰ ـ سنّة أهل البيت عليهم السلام الرافضة للعمل بالإستحسانات العقلية.

(*) أنظر في ذلك أقواله في من وحي القران ١: ١٢. وكذا كتاب للإنسان والحياة: ٣٠٧ـ٣١٠.

(٢) الانبياء: ٧.

أقول: إدعاء تعلّق آية ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا =

تَعۡلَمُونَ﴾ بعلماء الكتاب من اليهود والنصارىٰ(★) تكذبه إجماع الروايات الموثوقة لأهل البيت عليهم السلام حيث تؤكد هذه الروايات، وكما المنطق العقلي بأن هذه المرجعية الفكرية الكبرىٰ لايمكن أن تخرج عن إطار المسلمين، لأنّ خلافه يستلزم تناقض الأمر التشريعي الناهي عن إتباع أهل الكتاب، وان تبقىٰ ضمن الإطار الإسلامي فلا بد وأن يكون أعلم هؤلاء هو صاحب هذه المرجعية، بناء على مبنىٰ السيرة العقلائية بوجوب الرجوع إلىٰ الأعلم، وإما في المنطق الروائي فروايات أهل البيت عليهم السلام الصحيحة والموثوقة مجمعة علىٰ تخصيص الآية بأهل البيت عليهم السلام واللافت أن بعضها يتحدث بلهجة حادة جداً إزاء من يقول بأنها نزلت بحق علماء أهل الكتاب كما نجد ذلك في صحيحة محمد بن الحسن الصفار فيما رواه عن أحمد بن محمد(وهو ابن عيسى)، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن (المعلى ابن) أبي عثمان، عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ **فذكرنا له حديث الكلبي أنه قال: هي في أهل الكتاب قال: فلعنه وكذبه.** (بصائر الدرجات: ٦١ ج١ ب١٩ ح ١.٥) وما بين الأقواس منّا للتوضيح.

وكذا في صحيحته فيما رواه عن السندي بن محمد، عن العلا، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

لأن القرآن كان يتحداهم بأن يظهروا التوراة، وكان يتحدث عن أهل الكتاب وعلماء أهل الكتاب الذيـ[ـن] كانوا يعلّمون الكتاب، فالرواية بحسب ظاهر السياق القرآني يراد فيها علماء أهل الكتاب.[1]

ولمناقشة واقع دلالة الآية الكريمة، تارة سنناقش أي الدلالات هي الصادقة في الإنسجام مع القرائن العامة قرآنية كانت أو حديثية، وأخرىٰ سنناقش التبرير الذي قدّمه محمد حسين فضل الله، ولم أطلع فيما لديّ من كتب تفسير وعقائد العامة علىٰ أحد قدّم مثل هذا التبرير.

= قلت له: إن من عندنا يزعمون أن قول الله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ انهم اليهود والنصارىٰ، قال: إذا يدعونهم إلىٰ دينهم، ثم أشار بيده إلى صدره وقال: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون. (بصائر الدرجات: ٦١ ج١ ب١٩ ح١٧).

وقد تحدّثنا عن ذلك (دلالات الآية وشبهة فضل الله حول مرادها) بالتفصيل في كتابنا: الإمامة: بحث في الضرورة والمهام.

(★) تحدث محمد حسين فضل الله بعد ذلك وبإصرار أكبر علىٰ عدّ الآية من متعلقات أهل الكتاب. أنظر جريدة فكر وثقافة: العدد ٤٢ بتأريخ: ١٩٩٧/٥/٣١.

(١) جريدة فكر وثقافة العدد: ٤١ بتأريخ ١٩٩٧/٥/٢٤.

ونحن من خلال تأمل حقيقة الشهادة المطلوبة في الآية يلفت إنتباهنا حقيقة أن الشهادة المطلوبة تتعلّق برسالة الرسول ﷺ، لقوله: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ وكذا أن الشاهد المطلوب مقطوع بعدالة شهادته بحيث ان الله سبحانه يعبّر عن الكفاية التامة لشهادته، والمعبر عنها بقوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ﴾ هذا علاوة علىٰ أن الشاهد مقطوع بعلمه المطلق بشؤون الشهادة بحيث أنه قرن شهادة الشاهد بشهادة الله، حيث عطف شهادته علىٰ شهادة الله لقوله: ﴿بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وهذه الأمور تجعل مهمة أهل الكتاب سالبة بإنتفاء الموضوع، حيث إننا هنا نلاحظ أن الشاهد يحتاج إلى مواصفات وخصائص تتطابق مع مواصفات الرسالة وشأنيتها، وحيث أن رسالة كهذه تتمثل ببنية فكرية وتشريعية وأخلاقية، وهذه البنية تلتحم إلتحاماً كاملاً مع البنية الذاتية لشخص المرسل(١) في أبعادها السلوكية

---

(١) يرفض محمد حسين فضل الله هذا المعنىٰ ليشير إلى الفصل بين شخصانية محمد بن عبد الله كذات وبينه كرسول. أنظر كتاب خطوات علىٰ طريق الإسلام: ٤١٢ـ ٤١٤، الطبعة الخامسة؛ دار التعارف للمطبوعات ١٩٨٦ وكذا العديد من كتاباته ومقالاته. =

والوجدانية، ولهذا فلابد وأن تجتمع لدىٰ الشاهد البديل كل تلك المواصفات والخصائص، الأمر الذي يؤدي بالنتيجة إلىٰ القول بان وجود أهل الكتاب في محل الشاهد لا موضوع له، لأنّ فاقد الشيء لايعطيه.

وتبيان ذلك إن الشاهد المستدعىٰ للشهادة يفترض به أن يكون محيطاً بكل ظروف القضية المدعىٰ للشهادة بها، وحيث أن هذه القضية هي رسالة الرسول ﷺ فالمفروض أن الشاهد علىٰ إحاطة تامّة بهذه الرسالة، وهذا ما لا يستطيع شاهد أهل الكتاب أن يدلي بدلوه فيه، لإنها شهادة بغير علم.

كما إننا نلاحظ وضوح منطق التحدي ـ ضمن ظاهر سياق الآية ـ وهذا المنطق الذي تتقدمه كلمة: «كفىٰ»(١) يشير إلىٰ طبيعة الإطمئنان العميقة إلىٰ شهادة

= ولعمر الحق هل كان غير محمد بن عبد الله في بعده الذاتي البحت بقادر على تحمل هذه الرسالة، وهل أن الجعل الإلهي المعبّر عنه في الآية الكريمة: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام/ ١٢٤] كان ليكون لولا وجود ذات محمد بن عبد الله ﷺ ما لكم كيف تحكمون؟!

(١) يقول الراغب الأصفهاني عن معنىٰ الكفاية: ما فيه سدّ الخلّة، وبلوغ المراد من الأمر. «المفردات في غريب القرآن: ٤٣٧».

الشاهد المتقدّم لهذه الشهادة، ولا أعلم كيف يمكن الإطمئنان إلى شهادة علماء أهل الكتاب كائناً من كانوا في وضع من هذا القبيل! فلو فرضنا ــ وفرض المحال ليس بمحال ــ أن هؤلاء لسبب أو لآخر أخلفوا شهادتهم ولم يشهدوا، هل سيعني ذلك ان القران والرسولﷺ سيبحث عن شاهد آخر غير شاهد هو دعاهم إلىٰ الإستماع إلى شهادته؟! أم أن القران والرسولﷺ سيتراجعون عن أمر المحاجحة لينكسروا أمام الذين كفروا؟.

من البديهي أن الله لن يضع رسوله في موضع كهذا، فهو أقرب إلىٰ التكذيب منه إلىٰ حدّ الإحراج أمام أعداء الرسالة من الذين كفروا، وكلاهما غير مقبول ضمن المنطق العقلي البسيط، فما بالك بالحكمة الإلهية البالغة وإلىٰ هذا إلتفت الرازي فقال إن: إثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع كونهما غير معصومين عن الكذب لايجوز.[1]

وتابعه النيسابوري فقال قريباً منه: والاعتراض[2]

---

(١) تفسير الرازي ١٩ : ٧١.

(٢) قوله: «الاعتراض» يعود إلى كلام من قال بشهادة أهل الكتاب، أي أنه يعترض على كلام من قال بهذه الشهادة.

بأن إثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع جواز الكذب على أمثالهما لكونهم غير معصومين لا يجوز.[1]

ومع وجود كلمة «كفىٰ» يغدو الأمر مستحيلاً ضمن المنطق القرآني أن يتم استدعاء غير المعصوم للشهادة بمثل هذه القاطعية في مثل هذا الأمر البالغ الحيوية لرسالة الرسول ﷺ، وبالنتيجة يضحىٰ التحدي لامعنىٰ له مع عدم وجود المعصوم، وإجرائه خلاف الحكمة. فلا تغفل!.

ولو كان المراد هنا ــ كما يشير صاحب الشبهة ــ ان الرسول قد استدعىٰ شهادة هؤلاء كي يشهدوا بما في كتبهم، فهو **أولاً** مما لا دليل عليه، فعلىٰ أقل التقادير لايوجد أي تخصيص يستشفّ منه أن المراد بالكتاب كتاب أهل الكتاب، والتذرّع بالروايات الواردة من طرق العامة، مما لايغني ولا يشبع، حيث أنها متعارضة فيما بينها كما سنشير في حينه، علاوة علىٰ مناقضتها بروايات أخرىٰ.

وثانياً: إن من كتم هذه الشهادة ــ وفق هذا المنظار ــ كل سنوات ما قبل الهجرة وبعدها إلىٰ حين

---

(١) غرائب القران ورغائب الفرقان ١٣ : ١٠٠.

إسلامه،[1] حري بأن لا يدعى لشهادة من هذا القبيل، فالذي يكتم مرّة؛ يُخشىٰ منه أن يكتم شهادته في غيرها، وهو بالتالي غير مؤهل لخوض شهادة من هذا القبيل لها كل هذا القطع، حيث أن من المفترض أن أمثال عبد الله ابن سلام وصحبه ـ حيثما كانوا من علماء كتبهم، وأن هذه الكتب قد حوت البشارة بمبعث الرسول ﷺ ـ أن يسلم قبل قدوم الرسول إلى المدينة، فإن كان الإحتجاج

---

(١) من ذكرتهم روايات شهادة اهل الكتاب أسلموا في أوقات متغايرة، وأقربهم إلىٰ الإسلام (على بعض الروايات) كان عبد الله بن سلام التي تشير بعض الروايات إلىٰ أنه أسلم بمجرد ما رأىٰ رسول الله ﷺ وهو قادم إلىٰ المدينة، وقال البعض أنه أسلم بعد عام من قدوم الرسول إليها، ورأىٰ آخر أنه أسلم قبل وفاة الرسول بعامين. «أنظر في هذا الشأن الإصابة في تمييز الصحابة ٢: ٣٢٠ رقم٤٧٢٥».
وإن كنا نعتقد ان إسلامه كان متأخّراً حيث لا يؤثر له في عالم الخبر والأحداث ما يدل علىٰ كونه كان موجوداً في الأحداث المتقدمة من سنوات الهجرة، في وقت أن قلّة المسلمين آنذاك كانت تسمح لمثله ـ وهو الذي وصف بأنه كان عالم أهل الكتاب ـ بالبروز في عالم الأحداث.
فيما نجد أن (تميم الداري) قد أسلم في العام التاسع لهجرة الرسول ﷺ. «الاصابة في تمييز الصحابة ١: ١٨٣ـ١٨٤ رقم: ٨٣٧».

علىٰ ذلك بالقول بأن علمهم كان علماً إجمالياً وليس قطعياً، فإن من له علم إجمالي ومصدر العلم القطعي منه قريب، ولم يبادر لمعرفة القطع في شأن عظيم كهذا، يكون من أهل التسامح علىٰ أقل التقادير، وهو بالنتيجة غير مؤهل للشهادة في شأن له كل هذه الحساسية، فمن يتسامح نتيجة لغفلة أو لغيرها، يمكن له أن يتسامح في أكثر من مرة!.

وثالثاً: إن هؤلاء كانوا أصحاب كتب نعتقد بأنها كانت في زمن رسول الله ﷺ محرّفة[1]، فإن كان هؤلاء من الذين كانوا يعتبرون كتبهم محرّفة، فما لهم مالؤوا قومهم في البقاء علىٰ العمل بتلك الكتب؟ ومن يكتم شهادة من هذا القبيل هل يستحقّ أن يستدعىٰ لشهادة علىٰ رسالية رسول من غير قومه؟! وإن كانوا ممن لايعلم بأنّ كتبهم كانت محرّفة، فعلىٰ ماذا نسميهم علماء كتاب؟ في حال أنهم إلىٰ الجهل المركب أقرب منهم إلى العلم. يأتي هذا في الوقت الذي سبق للقرآن أن تحدّث مع رسول الله مراراً بأن من هؤلاء من حرّف الكتاب كما في

---

(١) نلفت الإنتباه هنا إلى أن محمد حسين فضل الله (ضمن شريط نحتفظ به) لا يعتقد بتحريف التواراة والإنجيل لفظاً، وإنما يقول بأنه قد حرّف بالمعنىٰ.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ﴾[1] وكذا قوله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾[2]، وكذا قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ﴾[3]، ومنهم من أن تأمنه بدينار لايؤده إليك كما في قوله جلّ من قائل: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[4] ومنهم من يصد عن سبيل الله ويأكل أموال الناس بالباطل كما في قوله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۞ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ

---

(١) النساء: ٤٦.

(٢) المائدة: ١٣.

(٣) المائدة: ٤١.

(٤) آل عمران: ٧٥.

وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1]، وكذا في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2].

ومن الطبيعي عندئذ أن يكون الرسول ﷺ ــ والحال هذه من التقريع الشديد علىٰ أمور لها مساس مباشر مع عدالة الشهود ــ أن يكون علىٰ أشدّ الحذر من الاحتمالات الواقعية لنكوصهم عن الشهادة، وبالنتيجة لا يجعل نفسه في معرض الخدش المباشر لمصداقيته الرسالية، وهو الأمر الذي يخشاه الرسول بما لايخشىٰ غيره، فتعقّل!.

ورابعاً: لو أن ملاك الشهادة هو شهادة أهل الكتاب أترىٰ أن رسول الله قد أعيته كلّ السبل بحيث أنه لم يك له بدّ من أن يستشهد بكتب وعلم هؤلاء وهم علىٰ الحال المريبة التي عرفت؟ أفما كان أقرب للإطمئنان النسبي لو أنّ رسول الله ﷺ وهو الأعلم منهم بكتبهم، أن يأتي بكتبهم، ويستخرج مواقع النصوص التي تبشّر بقدومه

---

(١) النساء: ١٦٠ــ١٦١.

(٢) التوبة: ٣٤.

المبارك، ثم يدعوهم للشهادة علىٰ صحة النسبة وصحة البشارة؟ وفي ذلك فائدة أكبر لهم وللمسلمين ولمن كانوا في موضع الحِجاج، ناهيك عما في ذلك من تحجيم لخطر عدم الإدلاء بالشهادة علىٰ وجهها، وهو أمر لم يفعله الرسول ﷺ علىٰ أيّ حال.

وخامساً: إن الحجِاج كان في الآية مع الذين كفروا كما هو واضح، فلو أنَّ الآية عنت الذين كفروا بالمعنىٰ المتبادر الطبيعي للّفظ، فإن هؤلاء لديهم شهادة الرسول ﷺ وعلماء أهل الكتاب بمصاف واحد فهم لا يؤمنون بالاثنين معاً، وإما إن تكون الآية قد أرادت الذين كفروا من أهل الكتاب، فعادة ما يطلق هذا اللفظ على الحربيين من أهل الكتاب لا على مجموع أهل الكتاب لمجرد انهم من أهل الكتاب، ومثل هؤلاء لن تنفع معهم شهادة أمثال عبد الله بن سلام وتميم الداري، فضلاً عن سلمان الفارسي الذي لم يكن في الوضع الإجتماعي المناسب الذي يمكّنه من الإدلاء بشهادة عادية، فكيف بما له أهمية شهادة كهذه؟ لأنّ المطالبة الواقعية والبديهية من قبل المحاججين في هذا المجال سترجع علىٰ هؤلاء، فلو انهم كانوا قد آمنوا بما يشهدون، فما بالهم قد أخّروا إسلامهم كل هذه السنوات؟.

وأما إن كان المراد بهم الذين كفروا من أهل الكتاب وقد استدعى الرسول ﷺ من أسلم من علماء أهل الكتاب للشهادة، فهذا لن يجدي أيضاً لأنّ شهادة هؤلاء، هي شهادة من أسلم، ومن أسلم شهادته كرسول الله ﷺ، فما بال باء عبد الله بن سلام هنا تجر، وباء علي ابن أبي طالب هناك لاتجر![1] أنبئوني بعلم إن كنتم صادقين. !

وسادساً: (ألا ترىٰ معي)! أن من له كل هذه الأهمية التي توصف بعالِمية الكتاب جدير بالحضور في محاورات الرسول ﷺ ومساجلاته مع أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، فما لنا لا نجد لهم ذكراً، خصوصاً وأن الرسول ﷺ قد عبّر ــ هؤلاء عنه ــ بأنه كان محتاجاً لشهادة أمثال أولئك؟ وهم علىٰ هذا الحال إما أنهم قد أسلموا في أواخر حياة الرسول ﷺ، وفي هذه الحال يظلّ إشكالنا الأول علىٰ حاله، فما لهم لم يؤمنوا من قبل ذلك وهم الذين عندهم ــ كما يصف فضل الله وصحبه ــ علم الكتاب؟ وإما أن يكونوا ممن أسلم من قبل ذلك، ولكن

---

(١) حيث استبعد فضل الله أن يكون الإمام علي عليه السلام هو الشاهد بدعوىٰ أنه من صفّ رسول الله ﷺ.

الرسول ﷺ كان مستغنياً عنهم؟ ولو كان الرسول ﷺ مستغنياً عنهم، فوقت إسلامهم لايغدو بذي بال لعدم ترتب شيء علىٰ التقدم والتأخر في ذلك، وعندئذ (ألا تتصور معي)! أن غيابهم وحضور أمير المؤمنين عليه السلام في مناظرات الرسول ﷺ مع وفد نجران، ومن قبله مع قوم عبد الله بن صوريا حينما استشهده علىٰ مسألة حكم الرجم بالزاني في التوراة بذي دلالة ومغزىٰ هامين في مورد تكذيب ما ادعىٰ عليه القوم!.

ج ـ لايبقىٰ لنا غير الإتجاه الثالث[1] وهو القول بأن من عنده علم الكتاب هو جهة من المسلمين، ويتبقىٰ أمامنا معرفة هذه الجهة، ونحن قبل ان نعرف ذلك لابد لنا من رد أصل الشبهة التي أوردها محمد حسين فضل

---

(١) لا يعني قولنا بالإتجاهات الثلاثة خلو كتب التفسير من إتجاهات أخرىٰ، وإنما لان ما أشير إليه من آراء أخرىٰ كما في القول الذي يقول بأن من عنده علم الكتاب هو جبرائيل عليه السلام، وهو قول ليس بذي قيمة لتسالم أهل التفسير علىٰ نبذه، لكونه من أخبار الآحاد التي لايسلم متنها من النقض السريع، وليس بأدلّ علىٰ ذلك من كون جبرائيل عليه السلام قد تصلح شهادته في الآخرة، أما في عالم الدنيا فلا محل لشهادته الدائمة والمستمرة المعنية بها هذه الآية، لعدم التمكّن من الإدلاء بشهادته أمام الذين كفروا ـ مثلاً ـ بسبب شأنه النوراني وشأنهم الظلماني، ولا مجال للقول بإمكانية ذلك لأنه سيجرّنا للتحدّث عن المعجزة في مجال اختار الله ـ لتمام الحجية علىٰ الناس ـ طريق الاسباب الطبيعية، ولذا فقد أعرضنا عنها.

الله علىٰ اختصاص الآية بأمير المؤمنين عليه السلام وهي أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستشهد بمثل علي عليه السلام لأنه من صفّه، وفي ذلك قال في مقام ترجيح القول بأن من عنده علم الكتاب هو من يملك علم التوراة والانجيل: لان الإمام (ع) كان مع النبي فكيف يستشهد به وهم لا يقرون علمه.[1]

وهذه الشبهة يمكن أن تصح لو ان أمر الشهادة كان امراً ظرفياً مرتبطاً بزمان محدد هو زمان المحاججة المدعاة مع الذين كفروا في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وبمعزل عما ذكرناه من مواصفات تستدعيها شخصية الشاهد، أما إن كان الأمر يتعلق بمبدأ قرآني يسري في كل زمان، فإن هذا الأمر لا معنىٰ له، لأنّ الإيحاء المبتني علىٰ ذلك سيكون أن كتاب الله لا يمتلك الحجية بنفسه، بحيث انه يحتاج إلىٰ شهادة علماء غيره بحقه،[2] وهذا ما لايقول به

---

(١) الندوة ٢: ٣١٦.

(٢) لا يعني ذلك أن تصح عبارة من قال: حسبنا كتاب الله تخلصاً من سنة الرسول أو الإمام، بل أن هذه الحجية تحتاج إلىٰ تبيان، وهذا التبيان لن يقوم به إلا أهله من رسول أو إمام وهو مؤدىٰ حديث الثقلين: إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً؛ كتاب الله وعترتي. وبما أن الكتاب حجة في ذاته، فالعترة هي الأخرى حجة بذاتها ولكنهما يحتاجان لبعضهما في إتمام الحجة علىٰ كل الناس. =

مسلم واع، أضف إلى ذلك أن كون الآية متعلقة بمبدأ قرآني عام، فإنها تفترض أن الشاهد حاضر دائم للشهادة، فأي حضور هذا الذي تطمئن الآية إليه، إن كان المراد بهم علماء أهل الكتاب، وفيهم من لاتصح شهادته علىٰ (حزمة بقل) كما يقال.

هذا ناهيك عن أن من وصف بعلمية الكتاب ـ حسب فرضية فضل الله ـ لا يوجد في كل زمان، ولهذا اضطر إلىٰ القول بأن المراد بهم هم: الطليعة الواعية المؤمنة التقية المنضبطة التي تفهم الإسلام حق الفهم». [١]

وهنا يرتد آخر الأمر علىٰ أوله فلئن صحّ هنا القول بأنهم من وصفت بالطليعة الواعية المؤمنة، فما لعلي عليه السلام لا يصح أن يكون من جملة هؤلاء ـ على الأقل ـ في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، فلئن كانت شهادة مثله لاتصلح في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه معه، أفتصلح شهادة الجمع وفيهم من هم دونه، في زمن غيره!!.

إن من المؤكد أن طلب الشهادة هنا هو من أجل إتمام الحجّة، وإتمام الحجة على حقانية الرسالة، لايكون من خلال شهادة إثبات بنعم أو لا، وإنما يحتاج إلىٰ من

---

(١) مجلة المعارج مصدر سابق: ١٦٨.

يمتلك العلم التفصيلي بكل شؤون الرسالة، بالصورة التي يكون الشاهد معها قادراً علىٰ دحض حجج الآخرين المضادة لهذه الرسالة، وهذا لا يمكن أن يكون إلا من خلال جهة مؤمنة بكل الرسالة، وليست بجهة وافدة من خارج الرسالة، ولهذا فإن المدعىٰ بأن الرسول لا يأتي بمثل علي للشهادة لأنه معه، قول على الأقل لايمتلك الدليل المقنع إلا بمقدار من الإستحسانات العقلية التي لاتغني ولا تسمن، فوفق أي مستند عقلي أو قانوني لا يتقدم للشهادة من كان إلىٰ جانب أحد المتخاصمين إن كان هذا الشاهد يمتلك الدليل القاطع على صحة قول أحد هؤلاء المتخاصمين، نعم يمكن ان تضعف شهادة هذا الشاهد إن كان دليله هو محض القول، أما في مجال الفعل وتقديم الدليل القاطع، فلا مجال لرد شهادة هذا الشاهد، حتى وإن كان يمثل نفس أحد المتخاصمين، ومعلوم هنا أن الشهادة المطلوبة ليست شهادة التصديق أو التكذيب علىٰ وقوع أمر أو لا، وإلا ما جاء بكلمة العلم المطلق بالكتاب، حيث يكفيه في هذا المجال كل صادق في القول، وإنما هي شهادة علىٰ تمامية الرسالة حتى لو كانت علىٰ نحو التفصيل الممل، وهو مقتضى إلقاء الحجة على الناس، ولهذا عبّر القران الكريم عن شهادات غاية في التفصيل: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا

كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] فلو لم يكن مقتضىٰ تمام الحجية مستدعياً للشهادات التفصيلية، لما احتاج القران للحديث عن ذلك، إذ يكفي المجيء بشهادات الملائكة الكاتبين علىٰ تنجيز الفعل المشهود عليه.

ولهذا نجد أن القرآن الكريم لا يستبعد إمكانية أن يشهد الشهادة بمثل هذه الأمور من له سنخ هوية المشهود له، طالما أن الشاهد يمتلك الدليل القاطع والبينات اليقينية علىٰ صحة شهادته، كما نرىٰ ذلك في الآية القرانية حيث يقول جل وعلا: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2]

وهذه الآية لاتطرح إمكانية وجود الشاهد من سنخ هوية المشهود له، بل وتابع له فحسب، وإنما تطرح وجوده الإجتماعي أيضاً، فمن الواضح أن الذي هو علىٰ بينة من ربه هو رسول الله ﷺ، يتبقى علينا أن نعرف من هو هذا الذي يتلوه، ومما لا ريب فيه أن هذه الآية تلتقي

---

(١) النور: ٢٤.

(٢) هود: ١٧.

مع الفهم الذي أشرنا إليه من قبل بضرورة أن يكون للرسالة شاهد من بعد وفاة الرسول ﷺ، وذلك لما رأينا بأن قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[1] يشير إلىٰ مهمة ودور لا إلىٰ خصيصة ذاتية متعلقة برسول الله ﷺ فحسب، وهذه المهمة طالما أننا فهمناها بأنها تستدعي الحضور الوجودي، بما وجدناه من آية عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[2] والتي تشير إلىٰ استلزام حياة الشاهد، الأمر الذي يحتم وجود الشاهد بعد حياة رسول الله ﷺ يكمل دور الرسول ويؤدي إليه الشهادة كما أدت الأمم السالفة عبر أنبيائهم عليهم السلام الشهادة لرسول الله، وهذا الأمر يطرحه الفهم القرآني مرة بصورة الأمة الوسط كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾[3]، وأخرى بصورة خصائص ومواصفات هذه الأمة الوسط بالصورة التي عرضت له الآيتين الكريمتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ

---

(١) الاحزاب: ٤٥.

(٢) المائدة: ١١٧.

(٣) البقرة: ١٤٣.

وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾[1] .

فهذه الوسطية التي تقف بين رسول الله ﷺ وسائر الناس في مسألة الشهادة لن تكون إلا من خلال مواصفات دقيقة تقترب من مواصفات الشاهد وتتطابق معه، ولهذا كانت هذه الأمة الوسط مجتباة من قبل الله تعالىٰ كما أشارت الآية الثانية، إذن فإنها ليست أمة بالمعنىٰ الشعبي للموضوع، وإنما هي مجموعة مصطفاة من الأمة، عبّر عنها بالأمة لأنها علم الأمة وشاخصها البارز، ولهذا عبر القرآن عن إبراهيم بأنه أمة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[2] .

ونلاحظ هنا أن هذه الأمة المجتباة، قد كانت حاضرة في وجدان إبراهيم عليه السلام بحيث أنه سمّاها وعناها باسم المسلمين، وكونها سميت بذلك فلخصائص

---

(١) الحج: ٧٧ــ٧٨.
(٢) النحل: ١٢٠.

ومواصفات امتلكتها، هي التي جعلتها بالتالي تمثل الصورة العليا في الإسلام.

ومن العجيب أن بعض المفسرين يشير إلى أن لفظة المسلمين أراد بها مطلق أهل الإسلام، دون أن يلتفت إلىٰ تقدم لفظة الذين آمنوا علىٰ لفظة المسلمين، مما يميز الكلمة هنا عن كلمة الإسلام في سورة الحجرات: ﴿ ۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْۖ ﴾[1] فهنا تقدم الإسلام علىٰ الإيمان لأنه إسلام كل الناس، ولذلك نهىٰ من إدعاء الإيمان، أما في هذه الآية فنحن نرىٰ العكس حيث تقدّم لفظ الإيمان علىٰ الإسلام، مما يجعل هذه الصفوة تمثل عصارة الإسلام.

ولو لاحظنا بقية المواصفات بدقة لرأينا أن هؤلاء من أهل العصمة، وذلك لما أشير هنا إلىٰ مواصفات مطلقة، وإذا ما كان وسط الشيء يعني أفضله كما يقول صاحب اللسان حيث يعقب: ومنه الحديث: خيار الأمور أوساطها.[2] إذن لابد وأن يكون ركوع هذه الأمة وسجودها وعبادتها وفعلها للخير، ثم جهادها وإقامتها

---

(١) الحجرات: ١٤.

(٢) لسان العرب ١٥: ٢٩٥.

للصلاة وإيتاؤها للزكاة وإعتصامها بالله يكون من أفضل أنـواع السجـود والـركـوع والعبـادة، بحيـث يكـون الله مولاهم، علىٰ نحو مطلق لذلك عبر عنه بأنه نعم المولىٰ ونعم النصير، وهذا ما لايمكن تصوره منفكاً عن وجود العصمة، خصوصاً وأنها تبلغ مرحلة لا تمثل فيها أي مسألة دينية مهما بلغت في صعوبتها أو تدانت في دقتها لتمثل لهم حرجاً، وهذا ما يجرنا إلىٰ القول بأن وسطية كهذه تفترض فيهم العالمية، ولهذا يرجع آخر الأمر إلىٰ أوله، أي أننا لما أشرنا من قبل إلىٰ مواصفات الشاهد الذي يحتاجه الرسولﷺ للشهادة علىٰ رساليته، وكونه لابد وأن يكون عالماً بما سيشهد به، ووجوب أن يكون معصوماً كي لا يكتم الشهادة، جاءت هذه الآية لتتحدث عـن وجـود جهـة مشخصـة لهـا وجـودهـا الإجتمـاعـي والتأريخي، وضعت كوسيطة بين شهادة الناس وشهادة الرسولﷺ، وحيث أن من يختصه الرسولﷺ للشهادة دون سائر الناس يكون أمثل الناس بطريقة الرسولﷺ، إذن فلا بد أن نعثر على هذا الوجود بالقرب من رسول اللهﷺ، لا أن نستبعده عنه، كما أراد فضل الله حينما أبعد علياً عنه بدعوىٰ أن الرسول لن يأتي بشاهد منه. فتأمّل.

أي كتاب.. وأي علم؟

ونحن قبل أن نفتّش عن هوية هذا الوجود التأريخي، واكتشاف مصداقه الإجتماعي، لابد وأن نتوقف في محطة أخرىٰ من محطات الآية الكريمة، فطالما أننا استبعدنا في المبحث السابق أن يكون الكتاب؛ كتاب أهل الكتاب، فعن أي كتاب تتحدث هذه الآية إذن؟.

ومن شأن تشخيص هوية الكتاب أن نستدلّ علىٰ طبيعة العلم الذي يمتلكه من عنده علم هذا الكتاب، وقد دار الجدل بعد دحض نظرية كون الكتاب؛ كتاب أهل الكتاب حول إتجاهين، فإتجاه ذهب إلىٰ أن المقصود بالكتاب هو اللوح المحفوظ المدوّنة فيه أسرار عالم الملكوت، ويتقوىٰ هذا الإتجاه بوصف آصف بن برخيا عليه‌السلام في القران حيث أشارت إليه الآية القرانية بوصف: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ

بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾[1] حيث أن الآية التي تصوّر آصف بن برخيا عَلَيۡهِ السَّلَامُ بأنه يمتلك نمطاً من أنماط الولاية التكوينية وهي من آيات علم الملكوت قد أشير إليه بأنه يمتلك بعضاً من علم الكتاب لوجود «من التبعيضية» وحيث أنه أشار إلىٰ البعض فلا بد وأن يشير إلىٰ الكل، ولهذا جاءت آية ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ للإفصاح عن هذا العالم بكل هذا العلم.

وفي مقابل ذلك يتحدث الإتجاه الثاني عن أن هذا الكتاب إنما هو القرآن الكريم، وهو ما ذهب إليه العلامة الطباطبائي في تفسيره[2] حيث يرىٰ أن ما يؤيد هذا الفهم هو مفتتح سورة الرعد ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾[3]، ويؤكد أنه هو الشاهد علىٰ صحة الرسالة التي تضمنها بإعتبار أنه: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[4]

وفي تصوري أن لا تعارض من حيث الجوهر بين كلا الإتجاهين، فلئن كان علم اللوح المحفوظ قد حوىٰ

---

(١) النمل: ٤٠.
(٢) الميزان في تفسير القرآن ١١ : ٣٨٣ـ ٣٨٤.
(٣) الرعد: ١.
(٤) فصلت: ٤٢.

ما كان وما سيكون، فالقرآن فيه تبيان لكل شيء كما وصفه الله في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1] وهذه الكل شيء يمكن أن تمتد أيضاً لعلم اللوح المحفوظ كما يذهب إلىٰ ذلك البعض من المؤلفين.[2]

وأياً كان الأمر فثمة شيء مجمع عليه وهو أن هذا العلم لن يكون علماً بشرياً، أي أنه لايأتي من المسارات الطبيعية للتعلّم البشري، وإنما هو نمط من أنماط العلم الإلهي الذي لن يؤتيه الله إلا من اصطفىٰ من عباده، فتعبيره بلفظة: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إنما تشير إلىٰ الإستغراق لكل علم الكتاب، وهذا ما يجعله إما ان يكون قد تساوىٰ علمه مع ما للكتاب من علم، وإما أن يكون علمه أكثر من ذلك، ففي كلا الفرضيتين يحتاج هذا المدىٰ من العلم إلىٰ معلم استثنائي يفوق علمه من علّم،

---

(١) النحل: ٨٩.

(٢) نحن نعتقد أن علم اللوح المحفوظ أوسع من علم القرآن، بدليل الآية القرانية ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة/ ٧٧ـ٧٦] وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ـ٢٢]، ولكن مهما كان الأمر فإن ما لاشك فيه هو أن صاحب علم الكتاب يتميز بخصيصة إستثنائية لا يمكن للبشر العاديين أن يطالوها.

وضمن أساليب استثنائية هي الأخرىٰ بإمكانها أن تختصر الزمن اللازم للتعلّم، ويستلزم ذلك مخبر استثنائي بوجود هذا العلم من جهة، وبتمكّن هذا الشخص منه، وهذا المخبر لن يكون علمه بالأمر العادي، وإنما ينبغي أن يكون أعلم من الذي عَلِمَ علم الكتاب كله، وهذا لن يكون بأي حال من الأحوال من المتعلمين البشر، وإنما لابد وأن يكون إما علىٰ تماس مباشر مع الذات الإلهية المقدسة، أو أن يكون هذا المعلّم والمخبر هو نفس الذات المقدسة، وهما لا يتعارضان فيمكن للرسول ﷺ أن يختصّ بتعليم علم ما علّمه الله، إلىٰ هذا الشخص أو الجهة، أو أن يرتبط هذا الشخص أو الجهة بآلية خاصة تمكّنها مباشرة من العلم الإلهي، وكلاهما مؤيدان في الأخبار والروايات الكثيرة.

ولهذا لايبقى أمامنا غير السّنّة الموثوقة لتكشف لنا عن لثام هذا الشاهد، وهو ما سنتابعه في الفصل اللاحق إن شاء الله وما توفيقي إلا بالله.

الفصل الثاني

الواقع الروائي لأفكار الإنحراف

السنّة المعصومة كاشفة عن محتويات الكتاب، ووظيفتها تأويل ما لم يصرّح به القرآن، أي انها هي التي تقوم بدور التخصيص لما عممه القرآن، لا كما يزعم البعض حينما يحاول أن يسلب من السنّة هذا الدور، إعتماداً على منهج أصحابه حينما تنادوا في رزية يوم الخميس: إن النبي ليهجر يكفينا كتاب الله!!.

وهذا المنهج ــ الذي يرفضه القرآن نفسه[1] ــ يحاول أن يتحدث بطريقة شعارية عن المفهوم القراني فيجعله حاكماً على جزئيات المفاهيم الموجودة في

---

(١) وذلك لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[آل عمران/ ٧]. فقد ردّ العلم بمتشابهات القران فضلاً عن معرفة المتشابه من المحكم إلىٰ الراسخين في العلم، ومن هم غير رسول الله ﷺ وآله الطاهرين عليهم السلام.

الأحاديث، معتبراً هذا المفهوم مقياس صحة الحديث وفساده.[١]

بل تراه يذهب إلىٰ ما هو أكثر من ذلك حينما يرفض الحديث الصحيح المفسّر للقرآن على غير طريقة التفسير الظاهري للقرآن فيقول: إذا كان نص قرآني وكان هناك حديث يؤول هذا النص، فالمقصود بهذا المعنىٰ كذا غير المعنىٰ الظاهر.. وهنا نلاحظ أن هذا النص الذي جاء ليفسر القرآن بغير ظاهره، هل يستقيم هذا التفسير مع قواعد اللغة العربية أم لا؟ هل يمكن أن يحتفظ القرآن ببلاغته مع هذا التفسير أم لا؟ لذلك ليس كل حديث نقبله ولو كان صحيحاً يأتي بتفسير للقران غير التفسير الظاهر.[٢]

وما من شك في أن نفس القرآن يحكم كل شيء، ولكن حينما نجعل المفهوم القرآني[٣] حاكماً، فإن ما

---

(١) مجلة المنطلق العدد: ١١٣ ص٣٢.

(٢) للإنسان والحياة: ٣٠١.

(٣) وهو مفهوم ضبابي يمكن أن يتسع لما يضيق عنه نفس القرآن، ويضيق عما أسهب القران في الحديث عنه، لكونه يخضع لتفكير البشر، وطريقة فهمهم للقرآن، وفي هذا التفكير الكثير من التعصب والمذهبية المسبّقة القادرة على =

نحتاج إليه مسبقاً هو الآلية التي بموجبها نفهم هذه المفاهيم، ونحدد أطرها، ولن نجد عندئذ غير السّنّة الصحيحة والموثوقة بقادرة على تحديد هذه المفاهيم، ففي القران محكم ومتشابه، وخاص وعام، ومقيّد ومطلق، وظاهر وباطن، وهذه تحتاج إلىٰ من يخرجها من إطار اللفظ إلىٰ إطار المراد الإلهي، ولن يتولىٰ هذا الأمر سوىٰ من له ملكة التعرف علىٰ هذا المراد، وبغيره فإن ما يعبّر به هو عن المفهوم القرآني، أو الفهم القرآني للمسائل وما إلىٰ ذلك، لن يعدو كونه عملاً من أعمال مناهج الإستحسان العقلي والمصالح المرسلة،[1] وهو

= تطويع أصلب المفاهيم، وفي تلك الطريقة الكثير من الجهل والسذاجة بما لا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ معرفة بعالم التفسير والحديث.

(١) وهي مناهج أهل العامة حيث يعمد فقيههم إلىٰ إعمال رأيه حيثما انعدم لديه الدليل النصّي أو القياسي، فيعمد تارة إلى الإستحسان وهو على تعبير البعض: ما يقع في الوهم من استقباح الشيء واستحسانه من غير حجة دلت عليه من أصل ونظير. «إرشاد العقول الى تحقيق الحق من علم الاصول: ٢٤١ للشوكاني» أو يعمد أخرىٰ إلىٰ المصالح المرسلة التي يعرفها أحدهم بأنها: نوع من الحكم بالرأي المبني علىٰ المصلحة بجلب نفع أو دفع ضر، مما لم يدل الشرع علىٰ إعتبارها أو إلغائها. =

منهج علاوة علىٰ كونه مرفوضاً جملة وتفصيلاً من قبل مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، إلا أنه ظني الدلالة في أحسن الأحوال، وهذا ما يرفضه القرآن ويقرّع من يستخدمه فقال جل من قائل: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[1] وقوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[2] وكذا قوله: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[3] وذلك ضمن تفصيل يراجع في متون الكتب الأصولية.

* * *

ونحن في هذا الفصل سنحاول أن نتعرف علىٰ هوية هذا الشاهد، ومن أجل ذلك سنسير في ثلاثة مراحل هي:

أ ـ حقيقة المبنىٰ الروائي الذي قام عليه تيار الإنحراف عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، وفي هذا

= وهي كما ترىٰ أحكام تقوم على الظن، وتفتقد إلىٰ الدليل الشرعي مما يجعلها خارجة عن دائرة الحجية.

(١) الأنعام: ١١٦.

(٢) يونس: ٣٦.

(٣) النجم: ٢٨.

المجال سيكون حديثنا منصبّاً في البداية علىٰ واقع روايات أهل العامة، ثم سنناقش الأسس التي اعتمدها تيار الإنحراف في إثارته العقيمة هذه.

ب ــ وفي المرحلة الثانية سنحاول أن نتعرف على موقف السنّة الشريفة من الآية الكريمة بشكل مباشر، وعندئذ سنتبين عمق الهُوّة التي أوجدها تيار الإنحراف بينه وبين أهل البيت عليهم السلام.

ج ــ ومن أجل أن نتعرف أكثر علىٰ هوية هذا الشاهد، لابد وأن نتعرف علىٰ موقف السنّة المعصومة من آيتي الوسط والشاهد التالي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فالآيتان لهما ارتباط وثيق بالمراد من آية الشهادة، ومن شروط الحديث عنهما أن ينسجم مع الحديث عن آية: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

أ ــ المبنى الروائي لتحريف مراد الآية

اعتمد تيار الإنحراف ــ حسب الظاهر ــ علىٰ روايات أهل العامة في تسويق عملية التحريف التي طالت مفهوم الآية ومفادها، ورغم أن هذا الأمر بحدّ ذاته يكفي لتعرية المنهج والإفصاح عن بعده عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام، إلا إن من ضوابط العمل العلمي أن يبحث عن الحقيقة أينما كانت، ولهذا فإن من الحري بنا أن نتبين حقيقة الروايات التي أولت عبد الله بن سلام وأضرابه مصداقية الآية، بعد أن تبيّنّا في الفصل السابق بُعد دلالة مفهومها قرآنياً وموضوعياً علىٰ ذلك.

يأخذ المتابع للمنهج الروائي في هذا المجال الذي سار عليه أهل تفسير العامة علىٰ هؤلاء انهم لم يرووا ما رووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما كانت أغلب رواياتهم عن التابعين فيما خلا عدد قليل من الصحابة، وبالتالي فهي

لاتمثل للسنة والشيعة أدنىٰ إلزام عملي بالعمل بمقتضىٰ ما رووه، خصوصاً وأننا سنلحظ إنهم قد يروون رواية تتعارض مع أختها أو تتضارب معها، وفي كل الأحيان يتم ذلك عن طريق راوية واحد، كما يحصل في الروايات التي تنسب لابن عباس، فلقد رووا عن ابن عباس قوله مرّة أن شاهد هذه الآية هو عبد الله بن سلام، وأخرىٰ بأنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، وثالثة: بأنه كان يقول: ومن عند الله علم الكتاب، ونفس الأمر تلحظه في الروايات التي رووها عن مجاهد وقتادة.

وعدم الإلزام الذي نتحدث عنه بالنسبة لأهل السنة إنما سنّه نفس هؤلاء الرواة، فلقد روىٰ ـ فيما رووه ـ سعيد بن منصور عن قتادة بأنه عبد الله بن سلام، غير أنه في موضع آخر يروي قول قتادة: كان الحسن يقرؤها: ومن عند الله علم الكتاب، ونفس الأمر في رواية مجاهد بأنه عبد الله بن سلام غير أنه قال في مكان آخر: هو الله هكذا قرأها الحسن.

علىٰ أنه ليس من العسير علىٰ المرء أن يلاحظ في الروايات التي اعتمدها أهل العامة في هذا الخصوص هو الحجم الكبير من التعارض والتضارب بين الروايات التي تحدثت ضمن هذا الإتجاه، فلقد روىٰ الطبري ـ مثلاً ـ

مرّة أن الآية نزلت بحق عبد الله بن سلام، **وأخرىٰ** قال: هم أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، **وثالثة**: رجل من الإنس ولم يسمه، **ورابعة**: أناس من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق ويقرون به ويعلمون أن محمداً رسول الله كما يحدث أن منهم عبد الله بن سلام، **وخامسة**: كان منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري.(١)

وهذا التضارب إن لوحظ بلحاظ روايات الإتجاهات الأخرىٰ التي ذكرتها كتب العامة تحصل على صورة أكثر إرباكاً للحقيقة، خصوصاً تلك الروايات التي تحدّثت عن مكية السورة، والتي نفىٰ المحدّث فيها وبشدة أن تكون الآية قد نزلت بحق عبد الله بن سلام كما في الرواية التي يرويها الطبري والنحاس في ناسخه باسناده إلى أبي يسر(بشر) قال: قلت لسعيد بن جبير: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أهو عبد الله بن سلام؟ قال: وكيف يكون عبد الله بن سلام والسورة مكية، ثم قال النحاس معقباً: أنكر هذا سعيد بن جبير لأن السورة مكية

---

(١) تفسير الطبري ١٣ : ١١٨ــ١١٩. وقريب منه فعل السيوطي في الدر المنثور ٤ : ٦٩.

وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة.[1]

وهذه الأمور إن لوحظ فيها إعتبار آخر، وهو أن بعض هذه الروايات مروية عن صاحب العلاقة مباشرة بالشكل الذي يجعل إحتمال الكذب فيها قائماً للتسالم علىٰ وجود مصلحة واضحة لرواية من هذا القبيل.

أقول: لو جمعت هذه الأمور بمجموعها فإن من حقّ المرء أن يتساءل عن المصداقية الحقيقية ـــ ضمن علم الرواية ـــ لمثل هذه الأحاديث، فلا هي وردت عبر مصدر شرعي، ولا هي مأخوذة بطرق منتظمة خالية من الإرتباك، ولا هي متوافقة فيما بينها، فعلام إذن يتم التعلّق بهذه الروايات دون غيرها؟.

ولئن كان المناط هو أخذ روايات العامة ومفارقة روايات أهل البيت عليهم السلام فلقد روىٰ أهل العامة أيضاً بطرقهم أن الآية نزلت بحق علي، فلماذا لا تؤخذ روايتهم هذه، خاصة وأنها تنسجم مع معطيات المنحىٰ الروائي الذي ينحو إليه البعض، فأهل العامة لا مصلحة لهم في الكذب إن قالوا بأنه علي بن أبي طالب(صلوات الله

(١) تفسير الطبري ١٣ : ١١٩، والناسخ والمنسوخ: ١٧٣. مؤسسة الكتب الثقافية ـــ بيروت. وعنهما الدر المنثور ٤ : ٦٩.

عليه).

إننا نرىٰ أن علم الحديث يقف إلى الضد من هذا الإتجاه، كما رأينا في أبحاث الدلالة إباء انطباق القرائن الموضوعية علىٰ ما أشارت إليه هذه الروايات، فما هو الأمر الذي جعل تيار الإنحراف يتجه للأخذ بمثل هذه الروايات علىٰ الرغم من وضوح إرتباكها واضطرابها؟.

لكان الأمر طبيعياً لو أن رواية أهل البيت عليهم‌السلام في هذا المجال كانت منعدمة، أو انها كانت لا تحقق ضابط الوثاقة في الاسانيد المروية عنهم عليهم‌السلام، أما مع وفرتها، واتساقها ضمن ضوابط صحة الصدور والرواية، فإن الأمر لايحكي ـ ولا بأي صورة من الصور ـ عن انسجام تفكير تيار الإنحراف مع هذه المدرسة، فضلاً عن أن يكون ممثلاً لها!.

وكان بإمكان هذا التيار الإدعاء بدعوىٰ إدخال أمثال المغيرة بن سعيد العجلي وأضرابه من الكذبة ووضّاع الحديث، الأخبار في كتب أصحاب الإمام الباقر والصادق عليهما‌السلام كما أشار إلىٰ ذلك محمد حسين فضل الله بقوله: إننا نحاول أن نلفت النظر إلىٰ حقيقة تاريخية اساسية، وهي قضية الدسّ والوضع في الأحاديث المنقولة عن النبي والأئمة والصحابة الذي يفرضه ويمليه الواقع

السياسي من جهة، والإتجاه المذهبي من جهة أخرى تبعاً لإنتماءات الرواة السياسية والمذهبية أو لمصالحهم مع هذا الفريق أو ذاك الفريق، مما يبعث على الحذر الكبير والدقة المتناهية فيما يأخذه الإنسان من الأخبار وفيما يدعه منها، حتىٰ في أحاديث الثقاة الثقاة من الرواة، لأن الوضّاعين قد اتبعوا اسلوباً خبيثاً في إعطاء الثقة لأخبارهم المكذوبة، وذلك بأن يدسّوا أخبارهم في كتب هؤلاء الثقاة بتقليد خطوطهم، وإفساح المجال لها في المواضع غير المكتوبة في تلك الكتب التي يحصلون عليها بطريق الإستعارة، فلا ينتبه إليها الآخرون وتمر الكذبة على أساس ذلك باسم الثقاة من حيث لايشعرون.(١)

ولكن ما عبّر عنه بالحقيقة التاريخية ما لها تعمل فقط في عموم الرواية الشيعية، ولا تعمل لدىٰ تيار الإنحراف في داخل الرواية العامية! خصوصاً وأن المقتضيات السياسية لوضع الحديث التي يشير إليها في طرحه هذا، لها تفعيل رسمي في خارج مدرسة أهل البيت عليهم‌السلام بما لا مجال للشك فيه.

ورغم أن مدرسة أهل البيت عليهم‌السلام قد عالجت

---

(١) الإسلام ومنطق القوة؛ محمد حسين فضل الله: ٢٤٨ الدار الإسلامية ــ بيروت؛ الطبعة الاولى ١٩٧٩.

مشكلة الوضع هذه إلىٰ حد بعيد، والمشكلة التي خلقها مثل المغيرة بن سعيد وأبي الخطاب الأسدي قد عولجت فوراً، وهذه المعالجة كانت حاكمة في جميع كتب أصحاب الأئمة، وقد تولّىٰ الإمام الصادق ومن بعده الإمام الرضا عليه السلام بحركة تشذيب شاملة للكتب المروية عنهم جنّدوا لها أمثال محمد بن مسلم الثقفي وأبان بن تغلب في عهد الصادق عليه السلام، ومحمد بن أبي عمير في عهد الإمام الكاظم عليه السلام ويونس بن عبد الرحمن وصفوان بن يحيىٰ وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي في عهد الإمام الرضا عليه السلام، ثم تعاقبت هذه العملية في زمن الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام عبر تلاميذهم لاسيما الحسن والحسين بن سعيد وأبناء مهزيار، وأحمد ابن محمد بن عيسىٰ ومحمد بن الحسن الصفار، ولم تكتف هذه المدرسة بذلك، بل وضعت شرائط قاسية وصارمة في قبول وردّ الخبر، لا تعادلها أي صرامة لدىٰ أي مدرسة أخرىٰ، أقول: رغم ذلك هل يا ترىٰ أن الحذر الكبير الذي يدعو إليه هذا الرجل، يعني أن نسقط عموم الحديث؟ أو نلجأ إلىٰ ضوابط علمية نحتكم إليها في قبول ردّ الحديث أو الأخذ به. فإن قال بإسقاط الحديث، فلماذا عمل بأخذ رواية العامة دون الخاصة؟ وإن قال بإتباع نظام الضوابط، فأين هي الضوابط التي عمل

بموجبها فرفض حديث الخاصة وعمل بحديث العامة، ولربما نستطيع أن نستجلي حقيقة موقفه هذا من خلال النص التالي حيث يقول: ربما كان توثيق أحاديث أهل البيت(عليهم السلام) مشكلة معقدة من حيث اختلاف الرأي في أسس التوثيق للنصوص المأثورة عنهم، وعن النبي محمد(ص)، وفي طبيعة الحقيقة التاريخية، في وثاقة هذا الراوي أو ذاك، مما يجعل الصورة غير واضحة الملامح في التعبير عن الخطوط الفكرية والفقهية في منهج أهل البيت الإسلامي، وقد تزيد المسألة إشكالاً إذا لاحظنا اضطراب الأحاديث المروية عنهم، من حيث التعارض والتنافي بين الروايات، لا سيما أن بعضها قد يكون صادراً عن راو واحد، يروي الفكرة برواية، ليروي خلافها برواية ثانية.[1]

ولو قدّرنا ــ جدلاً ــ صحة ما ذهب إليه، فلماذا خصّ هذا المنهج بحديث أهل البيت عليهم السلام، وها نحن للتوّ قد رأينا أخبار أهل العامة وهي تتضارب وتتنافىٰ فيما بينها، ودواعي الوضع فيها لأسباب سياسية وطائفية بيّنة، فلماذا لم يراع كل تلك الضوابط التي اشترطها علىٰ حديث أهل البيت عليهم السلام في حديث أهل العامة فيما رواه

---

(١) مجلة المنطلق العدد ١١٣ : ٢٤.

في قصة: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾؟.

علىٰ أن هذه الضوابط التي فيها من التضبيب ما يكفي لرمي حديث أهل البيت عليهم السلام بعيداً، وترك العمل بمقتضياته، لم نجدها تعمل لديه وهو يشرعن فهماً جديداً لمبدأ قبول الرواية، يقوم على حساب احتمالات الكذب والصدق، فهو يقبل رواية ضعيفة لعدم وجود احتمال الكذب فيها، ويرد أخرىٰ صحيحة لاحتمال وجود الكذب فيها.[1]

وهذا الفهم الذي يترك المجال للإستحسان العقلي وحده بردّ أو قبول الروايات، يؤسس لمشروع يطال كل أنماط الحديث، ومعه يمكن لكل رواية ترويها طرق أهل البيت عليهم السلام أن تكون كاذبة، لأن دواعي مصلحتهم فيها واضحة، فهي تتحدث عن مذهبهم، وبالتالي يمكن الكذب فيها، وبلحاظ أن دواعي المصلحة ومعايير اكتشاف الصدق والكذب تختلف من شخص لآخر، ومن زمان لآخر، ومن موضوع لآخر، فإن ما لاريب فيه أن هذا المنهج يؤسس لحالات:

---

(١) أنظر كتاب النكاح؛ محمد حسين فضل الله ١: ٥٨ دار الملاك ــ بيروت الطبعة الأولىٰ ١٩٩٧.

الأولىٰ: وهي المباشرة اعطاء الحق لمدارس العامة برفض الحديث الإمامي وبعدها مقولة الإمامية، بإعتبار أن الإمامية يتحدثون بما تمليه أسس المذهب، وهو أمر تكمن فيه مصلحتهم، وبالتالي يجعل داعي الكذب موجوداً دائماً، ومن ثم للقول بأن ما يتهم الشيعة به أهل العامة ليس محقّاً، لأن تلكم المقولات ليست مقولات ثابتة، أو كما يسميها داعية هذا المنهج «غير مقدسة» فما هو غير مقدّس تكون: قداسته مقتصرة علىٰ الشخص الذي تثبت قداسته عنده ـ بحسب اجتهاده ـ فليس له أن يرجم غيره ـ ممن لا يرىٰ رأيه ـ بإنكار المقدسات.[1]

والثانية: إنه يسمح بإيجاد حالة إنتقائية للحديث تقوم علىٰ أساس ما يتناسب وعقلية مدرسة الرأي والإستحسان، ومعه يمكن أن يضيع المقدار الأكبر من السنّة الصحيحة، ومن ثم لتنشأ حالة ثالثة وهي وجود سنّة

---

(١) أنظر في تعديد نماذج المقولات غير المقدس الهامش اللاحق، وانظر في نص هذا القول: مجلة المنهاج البيروتية؛ العدد الثاني؛ مقالة الأصالة والتجديد؛ محمد حسين فضل الله ص٦٣، ومجلة المعارج(العدد الخاص الثاني بفكر محمد حسين فضل الله) الأعداد: ٢٨ـ٣١ تحت عنوان: فضل الله وتجديد الوظيفة الإجتهادية؛ الأصالة والتجديد ص ٣٠٧.

متناقضة تسمح بوجود التهافت في داخلها، بالشكل الذي قد يسمح في المحصلة النهائية بإسقاط السنّة نهائياً، وهذا ما يلتقي بالنتيجة مع ما طرحناه سابقاً، وهو أن المطلوب إسقاط سنّة المعصوم عليه السلام، ولو من خلال الإكتفاء بإسقاط حديث أهل البيت عليهم السلام عنها، وهذا ما يوضحه الرجل ـ على مستوىٰ المنهج ـ في مجالات متعددة، فبعد أن وصف الإعتقادات الخاصة بمدرسة أهل البيت عليهم السلام[1] وهي البديهيات الإسلامية من خلال وصفها بالمتحولات التي لم تكن بالصراحة الكافية لجعلها فوق الخلاف، وليست موثوقة بشكل لايمكن الشك فيها، جاء

---

(١) كالخلافة والإمامة والحسن والقبح العقليين(العدل) والعصمة في التبليغ أو في الأوسع من ذلك بحيث يشمل الأفعال جميعها والآراء جميعها في شخصية الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وفي المسار الجسماني والروحاني، وفي مستوىٰ علم الأنبياء والأئمة، ومن حيث علم الغيب ووعي الأشياء في الكون والحياة وفي مسألة حدود الشرك والتوحيد وغير ذلك مما يتصل بالجانب العقيدي، وفي جانب الشريعة في وجوب الخمس. . الخ. «أنظر مقالة الأصالة والتجديد: ٦٠، و كذا مجلة المعارج في العدد الخاص الثاني: ٣٠٤ مع بعض التحوير حيث ابدلت كلمة العصمة في الأولىٰ، بكلمة الخاتمية في الثانية».

في موضع آخر ليقول: «إن كل ما جاءنا من تراث فقهي وكلامي وفلسفي هو نتاج المجتهدين والفقهاء والفلاسفة والمفكرين، من خلال معطياتهم الفكرية، ولا يمثل الحقيقة إلا بمقدار ما نقتنع به من تجسيده للحقيقة، علىٰ أساس ما نملكه من مقاييس الحقيقة، **وبهذا فإننا نعتبر أن كل الفكر الإسلامي ــ ما عدا الحقائق الإسلامية البديهية[1] ــ هو فكر بشري وليس فكراً إلهياً، قد يخطيء فيه البشر في ما يفهمونه من كلام الله وكلام رسول الله(ص)، وقد يصيبون**»[2].

وعلىٰ أي حال فإننا نجد من خلال هذه الملاحظات السريعة أن منهج الإنحراف في مبانيه الروائية قد اعتمد

---

(١) أنظر في نماذج هذه الحقائق البديهية مقالته الأصالة والتجديد حيث يعطي مقولات العامة في أصول الدين وفروعه هذه الصفة، ويستثني مقولات الإمامية من ذلك!.

(٢) حوارات في الفكر والسياسة والإجتماع؛ محمد حسين فضل الله؛ إعداد وتنسيق نجيب نور الدين: ٤٨٠ دار الملاك ــ بيروت؛ الطبعة الأولىٰ ١٩٩٧.
ونلفت الإنتباه هنا أن هذا الكلام مقتبس بصورة كبيرة من كتاب: من الإجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي للمستشرق الفرنسي العلماني محمد أركون، ومن مقدمة هاشم صالح للكتاب ص٩ دار الساقي ــ الطبعة الثانية؛ لندن ١٩٩٣.

آراء أهل العامة[1]، ولكنه حتىٰ في هذا الاعتماد لم يفلح في إيجاد التوافق بين ما يطرحه من حجج للخروج عن سنة أهل البيت، وبين ما التزم به من فكر العامة، فلا فكر العامة قد وافق فهم القران، ولا رواياته كانت متوافقة مع منهج الإنحراف في التعامل مع السنّة، ولو تأمل القاريء الكريم بهذا الأمر قليلاً لما فوّت فرصة التعرف على الهدف الحقيقي الذي يسعىٰ تيار الإنحراف إليه.

---

(١) وهو اعتماد مؤقت في نظرنا!.

ب ـ ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾
في سنة المعصوم عليه السلام

سنتعرّف في هذا المبحث إلىٰ الواقع الروائي في تفسير هذه الآية من خلال سنّة المعصوم عليه السلام ، حيث سنجد التوافق التام مع المعطيات التي خرجنا بها في المبحث القراني في مواصفات وخصائص الشاهد المطلوب للمهمة التي تطرحها الآية المباركة، مع بعض الإشارة إلىٰ صدىٰ هذه الرواية في أوساط أهل العامة، ومن ثم ليغدو واضحاً أي مجانبة ومفارقة عن فكر أهل البيت عليهم السلام قد اقترفها داعية الإنحراف.

وكعادتنا فإننا سنعتمد منهج التشدد السندي في توثيق الروايات التي سنذكرها[1] وذلك وفقاً لمنهج

---

(١) رغم كونها غير ملزمة بأبحاث من هذا القبيل، لأن هذا المنهج إنما يطلب للفتوىٰ فحسب.

المقدّس السيد الخوئي(قدّس سرّه) بإعتباره صاحب أكثر المناهج تشدداً في مسائل الجرح والتعديل؛ ففي صحيحة علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير؛ ومحمد ابن يحيىٰ، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عمن ذكره، عن ابن أبي عمير جميعا، عن ابن أذينة، عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: إيّانا عنىٰ، وعليّ أولّنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله.[1]

ونفس الرواية رواها محمد بن الحسن الصفار بسند آخر عن محمد بن الحسين؛ ويعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير.[2]

وفي صحيحة[3] احمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن احمد بن محمد، عن حماد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو [أهو خ.ل] علي بن أبي طالب

---

(١) الكافي ١: ٢٢٩ ح٦.
(٢) بصائر الدرجات: ٢٣٤ـ٢٣٥ ج٥ ب١ ح١٢.
(٣) الرواية الصحيحة هي ما كان رجال السند فيها من الموثوقين الإمامية.

عليه السلام؟ قال: فمن عسى أن يكون غيره.[1]

وفي موثوقة[2] يعقوب بن يزيد، عن الحسن بن علي بن فضّال، عن ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت عنده فذكروا سليمان وما أعطي من العلم وما أوتي من الملك، فقال لي: وما أعطي سليمان ابن داود، إنما كان عنده حرف واحد من الاسم الأعظم، وصاحبكم الذي قال الله: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وكان والله عند علي عليه السلام علم الكتاب، فقلت: صدقت والله جعلت فداك.[3]

وفي صحيحة احمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن أيوب بن الحر، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ والنضر بن سويد، عن عاصم بن حميد، عن محمد بن مسلم؛ وفضالة بن أيوب، عن أبان، عن محمد بن

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٣٥ ج٥ ب١ ح١٥.

(٢) الرواية الموثوقة هي ما كان جميع رواتها من الموثوقين ولكن الجميع أو البعض منهم ليسوا من الإمامية، وهي لهذا موثوقة لموضع ابن فضال فيها، رغم الاعتقاد السائد بين بعض المحققين بأن الرجل لم يكن واقفياً.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٣٢ ج٥ ب١ ح١.

مسلم؛ والنضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن جابر جميعاً، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: هو علي بن أبي طالب عليه السلام.[1]

وفي موثوقة محمد بن الحسين، عن ابن فضال، عن مثنى الحناط، عن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: نزلت في علي عليه السلام عالم هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.[2]

وفي صحيحة عبد الله بن أحمد بن نهيك، عن الحسن بن موسىٰ، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن المثنىٰ[3] قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: نزلت في علي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وفي الأئمة بعده.[4]

وفي مؤيّدة أحمد بن محمد بن عيسىٰ، عن الحسين

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٣٥ ج٥ ب١ ح١٤.
(٢) نفس المصدر: ٢٣٦ ج٥ ب١ ح١٧.
(٣) هو المثنّىٰ الحناط الثقة.
(٤) بصائر الدرجات: ٢٣٤ ج٥ ب١ ح٥.

ابن سعيد، عن محمد بن الفضيل،[1] عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: هو علي ابن أبي طالب.[2]

وفي صحيحة أحمد بن محمد بن عيسىٰ، عن الحسين بن سعيد، عن أحمد بن حمزة، عن أبان بن عثمان، عن أبي مريم[3] قال: قلت لأبي جعفر: هذا ابن

---

(١) اختلف علماء الرجال في شأن محمد بن الفضيل، فهل هو محمد بن الفضيل بن كثير الصيرفي الضعيف، أو أنه محمد ابن القاسم بن الفضيل بن يسار الثقة الجليل، وفيما ذهب الشيخ المفيد (أعلىٰ مقامه) إلى إعتباره من الفقهاء والرؤساء الأعلام، الذين يؤخذ منهم الحلال والحرام والفتيا والاحكام، ولا يطعن عليهم بشيء، ولا طريق لذم واحد منهم. «معجم رجال الحديث ١٧ : ١٤٧ رقم١١٥٦٤».
فإن السيد الخوئي (قدس سره) قد أعلن أنه لا مجال لتخصيص اطلاق اسم محمد بن الفضيل علىٰ محمد بن القاسم الثقة، دون الصيرفي الضعيف.
ولهذا فإن الرواية هنا تبقى معلّقة بين الراوي الضعيف والآخر الثقة، ولكن احتمال الضعف هنا مجبور بتواتر الخبر.

(٢) بصائر الدرجات: ٢٣٥ ج٥ ب١ ح١٣.

(٣) هو عبد الغفار بن القاسم الأنصاري الثقة.

عبد الله بن سلام يزعم أن أباه الذي يقول الله: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾. قال: كذب، ذاك علي بن أبي طالب.[1]

ولهذا تكون مرسلة[2] يحيىٰ الحلبي معتبرة فلقد روىٰ أحمد بن محمد بن عيسى، عن البرقي، عن النضر ابن سويد، عن يحيىٰ الحلبي، عن بعض أصحابنا[3] قال: كنت مع أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ في المسجد أحدّثه إذ مرّ بعض ولد عبد الله بن سلام وقلت: جعلت فداك هذا ابن الذي يقول الناس عنده علم الكتاب؟ قال: لا، إنما ذلك عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ نزلت فيه خمس آيات أحدها: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾.[4]

وفي صحيحة محمد بن الحسين؛ ويعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ قال: إيّانا عنىٰ وعليّ أوّلنا وأفضلنا

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٣٥ ج٥ ب١ ح١٦.
(٢) الرواية المرسلة في واحدة من مواصفاتها هي الرواية التي يروي فيها الراوي عن شخص دون أن يسميه.
(٣) ولا يبعد أن يكون هذا هو أبو مريم المارّ.
(٤) بصائر الدرجات: ٢٣٤ ج٥ ب١ ح١١.

وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم..[1]

وفي المروية الآتية التي تروىٰ عن عبد الله بن الوليد السمّان بطرق متعددة، وبأجزاء متفرقة أذكر منها صحيحة محمد بن عيسى بن عبيد، عن محمد بن عمرو،[2]، عن عبد الله بن وليد السمان، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا عبد الله ما تقول الشيعة في علي وموسىٰ وعيسىٰ.. الخبر؛[3] وصحيحة محمد بن اسماعيل، عن محمد بن عمرو الزيات، عن عبد الله بن الوليد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أي شيء يقول الشيعة في عيسىٰ وموسىٰ واميـر المـؤمنيـن عليه السلام.. الخبـر؛[4] وفـي مـرفـوعـة

---

(١) نفس المصدر: ٢٣٦ ج٥ ب١ ح٢٠.

(٢) في الأصل: محمد بن عمر، وهو تصحيف والصحيح ما أوردناه، لعدم وجود من يروي محمد بن عيسىٰ اليقطيني عنه سوىٰ محمد بن عمرو الزيات المدائني الثقة، ولعدم وجود راو عن عبد الله بن الوليد غيره، ولنص رواية الخرائج والجرائح القادمة، وكذا صحيحة محمد بن عيسى بن عبيد المشار إليها.
وعلى فرض عدم صحة محمد بن عمرو هنا، فهو محمد بن أبي عمير الذي يرفع صاحب الاحتجاج الخبر إليه. وبه يصح الخبر أيضاً.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٤٨ ج٥ ب٥ ح٣.

(٤) نفس المصدر: ٢٤٧ ج٥ ب٥ ح١.

الاحتجاج إلىٰ محمد بن أبي عمير، عن عبد الله بن الوليد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما يقول الناس في أولي العزم وصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام . . الخبر[1]؛ وفي المرسلة المؤيدة بالصحاح المارّة أحمد بن محمد،[2] عن البرقي، عن رجل من الكوفيين، عن محمد بن عمرو[3] قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما يقول أصحابك في أمير المؤمنين عليه السلام وعيسى وموسى انهم أعلم؟ قال: قلت: ما يقدمون على أولي العزم أحداً، قال: أمّا إنك لو حاججتهم بكتاب الله لحججتهم، قال: قلت: وأين هذا في كتاب الله؟ قال: إن الله قال في موسىٰ: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً ﴾[4] ولم يقل كل شيء، وقال في عيسىٰ: ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾[5] ولم يقل كل شيء، وقال في صاحبكم: ﴿ كَفَىٰ بِٱللَّهِ

---

(١) الاحتجاج: ٣٧٥.

(٢) أغلب الظن أنه احمد بن محمد بن خالد البرقي. وإلا فهو أحمد بن محمد بن عيسىٰ.

(٣) يرد هنا نفس ما أوردناه في الهامش السابق في معرض تصحيح اسم محمد بن عمر إلى محمد بن عمرو الزيات المدائني.

(٤) الأعراف: ١٤٥.

(٥) الزخرف: ٦٣.

شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ .[1]

وقريب منها وبتفصيل أكثر: صحيحة سعد بن عبد الله، عن محمد بن عيسىٰ بن عبيد، عن محمد بن عمرو، عن عبد الله بن الوليد السمّان قال: قال الباقر عليه السلام: يا عبد الله ما تقول في علي وموسىٰ وعيسىٰ؟ قلت: ما عسىٰ أن أقول فيهم؟ قال: هو والله أعلم منهما، ثم قال: ألستم تقولون: إن لعلي ما لرسول الله من العلم؟ قلت: نعم، والناس ينكرون.

قال: فخاصمهم فيه بقوله تعالى لموسىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ فعلمنا أنه لم يكتب له الشيء كله!.

وقال لعيسىٰ: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ فعلمنا أنه لم يبيّن الأمر كلّه.

وقال لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[2]. قال: فسئل عن قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: والله إيانا عنىٰ، وعلي أولنا وأفضلنا

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٤٩ ج٥ ب٥ ح٦.

(٢) النحل: ٨٩.

وخيرنا بعد رسول الله ﷺ.[1]

وفي صحيحة علي بن إبراهيم، قال: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام وسئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم؛ أم الذي عنده علم الكتاب؟ فقال: ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ألا إن العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض وجميع ما فضلت به النبيون إلىٰ خاتم النبيين في عترة خاتم النبيين.[2]

وهذا الكم الكبير من الروايات والذي يستقطب عهود الائمة الباقر إلىٰ الرضا عليهم السلام حيث نجد ما لايقل عن ثلاثة أجيال من الرواة، قد تعاقبوا على نقل الخبر، يبلغ بالخبر حد التواتر، مما يجعل الأخبار الموصوفة بضعفها بسبب جهالة الرواة، أو إهمالهم، أو بالإرسال الذي فيها، أو بضعف نفس الرواة، أو بعاميتهم،[3] ترقىٰ

---

(١) الخرائج والجرائح: ٧٩٨ـ٧٩٩ ب١٦ ح٨.

(٢) تفسير القمي ١: ٣٦٨.

(٣) جهالة الراوي تعبير عن عدم إتضاح حاله من حيث الوثاقة =

إلىٰ الأخبار المقبولة، ومن جملة هذه الأخبار نجد الروايات التالية:

فقد روىٰ محمد بن الحسين[1]، عن النضر بن شعيب،[2] عن محمد بن الفضيل،[3] عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول في قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ قال: الذي عنده علم الكتاب هو علي بن أبي طالب.[4]

وروىٰ محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان،[5] عن جابر قال: قال أبو جعفر في

= والعدم، وإهماله تعبير عن عدم حديث علماء الرجال عن حاله، وعاميته كونه من رجال العامة.

(١) ورد في الأصل: محمد بن الحسن، وهو تصحيف، والصحيح هو ما أثبتناه لعدم وجود محمد بن الحسن في هذه الطبقة له خصيصة الرواية عن النضر بن شعيب، على أن من الواضح أن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب هو راوي كتاب النضر.

(٢) النضر بن شعيب لم يوثق.

(٣) المظنون أنه محمد بن الفضيل الصيرفي الضعيف.

(٤) نفس المصدر: ٢٣٦ ج٥ ب١ ح١٩.

(٥) ذكره النجاشي من دون توثيق، وكذا الشيخ في الفهرست، =

هذه الآية: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: هو علي بن أبي طالب.(١)

ومن ذلك ما روىٰ ثقة الإسلام الكليني(قدّس الله نفسه الطاهرة) عن محمد بن يحيىٰ، عن أحمد بن أبي زاهر، عن الخشاب، عن علي بن حسان،(٢) عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾(٣) قال: ففرَّج أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ بين أصابعه فوضعها في صدره، ثم قال: وعندنا والله علم الكتاب كله.(٤)

وروىٰ الصفار، عن إبراهيم بن هاشم، عن محمد

= ولكن رواية كتابه من قبل النضر بن سويد (رضوان الله تعالى عليه وهو من أعلام الطائفة) يدلّ على ركون لحديثه.
ولكن هذا الأمر حيث لايدل على التوثيق، إلا أن عدم وثاقته مجبورة بورود الخبر بأسانيد صحيحة وموثوقة، فيصح.

(١) بصائر الدرجات: ٢٣٣ ج٥ ب١ ح٤.

(٢) علي وعمه عبد الرحمن موصوفان بالضعف، وما خلاهما من أهل الثقة.

(٣) النمل: ٤٠.

(٤) الكافي ١ : ٢٢٩ ح٥. ومثله ولكن باسناده عن أحمد بن موسى، عن الخشاب، عن عبد الرحمن بن كثير الهاشمي روى الصفار الخبر في البصائر: ٢٣٢ ج٥ ب١ ح٢.

ابن سليمان، عن سدير[1] قال: كنت أنا وأبو بصير وميسر ويحيىٰ البزاز وداود الرقي في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون إنا نعلم الغيب وما يعلم [الغيب] إلا الله؛ لقد هممت بضرب خادمتي فلانة، فذهبت عنّي فما عرفتها في أي بيوت الدار هي،[2] فلما

---

(١) كذا هو الصحيح، وفي المصدر: محمد بن سليمان بن سدير، وهو تصحيف ظاهر. مع العلم أن محمد بن سليمان هذا ضعيف.

(٢) يتخذ تيار الإنحراف من هذا المقدار من الرواية حجة على عدم علم الإمام عليه السلام، وقد فصّلنا الحديث عن ذلك في كتابينا القادمين: علم المعصوم عليه السلام، والإمامة: بحث في الضرورة والمهام، وبمقدار أقل في الطبعة الثانية في الفصل الأخير من كتابنا الولاية التكوينية؛ الحق الطبيعي للمعصوم عليه السلام، ولكن لابد هنا من القول وبشكل موجز: بأن علم الإمام إنما ينقسم إلى قسمين، فما يرتبط بالعلوم المتعلقة بشؤون الرسالة والهداية والدين فمما لا شك فيه أن لديه العلم كله، وخلافه يؤدي إلى القول بنقص الحجية الإلهية، وهو مما لايمكن لأحد القول به، فلا يمكن تصور إمام يمارس مهمة الإمامة الدينية، وهو لا يملك العلم الشامل والتفصيلي بكل ما يتعلق بمادة إمامته، لأن خلافه سيؤدي إلىٰ القول بأن الحجية الإلهية الكاملة لم تنجّز عليه. =

= أما فيما يتعلق بالشؤون الخارجة عن مدار الإمامة كما في الموضوعات الخارجية غير المرتبطة بشؤون الدين، فعلى رأي بعض القدماء بأنه ما من ضرورة لأن يعلمها بكل تفاصيلها، ولكنه إن احتاجها علمها، وهو مناط قولهم عليهم السلام: إن احتجنا إلىٰ العلم علمنا، ولكن علمهم هنا لن يكون علماً كسبياً، وإنما يتم بطرق التعليم الخاصة بالعلم الألهي كالإلهام أو النكت في القلوب، أو النقر في الأسماع، او بتكليم ملك، أو بالحالة الأشمل التي يعبر عنها بملازمة روح القدس لهم. وذلك ضمن تفصيل لايتسع المجال له هنا.

ولكن يشكل علىٰ ذلك أن نفس القول بعلم الإمامة لغرض الإمامة يستدعي إمتداد هذا العلم إلىٰ الموضوعات الخارجية بشقيها الفني والموضوعي، ففي الشق الفني إن قلنا بأن وظيفتهم كأئمة تستدعي منهم أن يعلموا كل ما في القران لغرض بيانه، فهاهو القران يتحدث عن كثير من الأمور ذات المساس الواضح بهذه العلوم كالفلك والفسلجة والنبات وغيرها، وحيث أن الإمام ملزم بالتبيان وجب علمه بكل التفاصيل المتعلقة بأمور كهذه، أما في الجانب الموضوعي كمن قبيل الرواية أعلاه لو صحّت دون ذيلها المناقض لصدرها ففيه أن الكثير من هذه الشؤون ترتبط بمهمة الإمامة مما يلحقها بالعلم الخاص، وجميعها تدخل في شؤون الإمامة الشاهدة مما يجعل الحديث بتمايز العلم بالموضع =

أن قام من مجلسه وصار في منزله، دخلت أنا وأبو بصير وميسر علىٰ أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فقلنا له: جعلنا فداك سمعناك تقول كذا وكذا في أمر خادمتك، ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً، ولا ننسبك إلىٰ علم الغيب، قال: فقال: يا سدير ما تقرأ القرآن؟ قال: قلت: قرأناه جعلت فداك، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾؟ قال: قلت: جعلت فداك قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل، وعلمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلت: فاخبرني حتى أعلم قال: قدر قطرة من المطر الجود[1] في البحر الأخضر؛ ما يكون ذلك من علم الكتاب قال: جعلت فداك ما أقلّ هذا قال: يا سدير ما أكثره إن لم ينسبه إلى العلم الذي اخبرك يا سدير، فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ كله قال: وأومأ بيده إلىٰ صدره فقال: علم الكتاب كله والله عندنا ثلاثاً.[2]

= الخارجي عن علم الإمامة سالب بإنتفاء الموضوع، وهذا هو الذي يسمونه بالعلم الحادث في الليل والنهار، ومما يدلل علىٰ هذا الأمر حديثنا القادم عن سورة القدر.

(١) أي المطر الكثير.

(٢) بصائر الدرجات: ٢٣٣ ج٥ ب١ ح٣.

وروى الصفار، عن أحمد بن الحسن بن فضال، عن عبد الله بن بكير، عن نجم، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: علي عليه السلام عنده علم الكتاب.[1]

وبإسناده عن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، عن إبراهيم الأشعري، عن محمد بن مروان، عن نجم، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: صاحب علم الكتاب علي عليه السلام.[2]

وبإسناده أيضاً عن بعض أصحابنا، عن الحسن بن موسىٰ، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: إيّانا عنىٰ، وعليّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا.[3] وقد مرّ الحديث بسند صحيح.

وبإسناده عن أحمد بن محمد، عن الربيع بن محمد، عن النضر بن سويد، عن موسىٰ بن بكر، عن فضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ وبإسناده أيضاً

---

(١) نفسه: ٢٣٣ــ٢٣٤ ج٥ ب١ ح٥.
(٢) نفسه: ٢٣٤ ج٥ ب١ ح٦.
(٣) نفسه: ٢٣٤ ج٥ ب١ ح٧.

عن عباد بن سليمان، عن سعد بن سعد، عن أحمد بن عمر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنهما قالا في قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: علي عليه السلام.[(1)]

وأيضاً بإسناده عن عبد الله بن محمد، عمن رواه، عن الحسن بن علي بن النعمان، عن محمد بن مروان، عن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: نزلت في علي بن أبي طالب، إنه عالم هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله.[(2)]

وبإسناده عن أبي الفضل العلوي قال: حدثني سعيد ابن عيسىٰ الكزبري البصري، عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير، عن أبيه، عن شريك بن عبد الله، عن عبد الأعلىٰ الثعلبي، عن أبي تمام، عن سلمان الفارسي رحمه الله، عن أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فقال: أنا هو الذي عنده علم الكتاب، وقد صدقه الله وأعطاه الوسيلة في الوصية، ولا تخلىٰ أمة من وسيلته

---

(1) نفسه: ٢٣٤ ج٥ ب١ ح٨و٩.

(2) نفسه: ٢٣٦ ج٥ ب١ ح١٨.

إليه، وإلىٰ الله فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾. [١]

ورویٰ الراوندي قال: أخبرنا جماعة منهم: السيدان المرتضىٰ والمجتبىٰ إبنا الداعي الحسني، والاستاذان أبو جعفر وأبو القاسم إبنا كميح، عن الشيخ أبي عبد الله جعفر ابن محمد بن العباس، عن أبيه، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسىٰ، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن علي بن محمد بن سعد، عن حمدان بن سليمان النيسابوري، عن عبد الله بن محمد اليماني، عن منيع بن الحجاج، عن الحسين بن علوان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله فضّل أولي العزم من الرسل بالعلم علىٰ الأنبياء، وورثنا علمهم وفضّلنا عليهم في فضلهم، وعلم رسول الله ما لايعلمون وعلمنا علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فروينا لشيعتنا فمن قبله منهم فهو أفضلهم أينما نكون فشيعتنا معنا وقال (ع): تمصّون الرواضع (الثماد)[٢] وتدعون النهر العظيم؟ فقيل: ما تعني بذلك؟ قال: إن الله أوحىٰ إلىٰ رسول

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٣٦ج٥ ب١ ح٢١. والآية في المائدة: ٣٥.

(٢) ما بين القوسين هو ما في رواية البصائر، ولعلها الأنسب. بصائر الدرجات: ٢٤٨ ج٥ب٥ح٤. والثماد: الماء القليل الذي يتجمع بعد المطر بحيث أنه لا تكون له مادة تنقب فيه.=

الله ﷺ علم النبيين بأسره، وأسرّه إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقيل: علي عليه السلام أعلم أو بعض الأنبياء؟ فقال: إن الله يفتح مسامع من يشاء، أقول: إن رسول الله ﷺ حوىٰ علم جميع النبيين، وعلّمه الله ما لم يعلّمهم، وأنه جعل ذلك كله عند علي فتقول: علي أعلم أو بعض الأنبياء!! وتلا: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ثم فرّق بين أصابعه فوضعها علىٰ صدره وقال: عندنا والله علم الكتاب كله.[1]

ورویٰ الشيخ محمد بن أبي القاسم الطبري بإسناده إلىٰ أبي أحمد يحيىٰ بن يحيىٰ المقري الفتى الظريف قال: وجدت في كتاب عمي الفضل فيما كتبه عن أبي منصور أحمد بن العباس، عن أبيه، عن الفضل بن يحيىٰ ـ في حديث طويل ـ قال: سئل أبو جعفر محمد بن علي (الجواد) عن قول الله إلىٰ أن يقول: فقوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: إيانا عنىٰ، وعلي أقضانا وأولنا وخيرنا بعد النبي ﷺ.[2]

ورویٰ سليم بن قيس العامري في كتابه عن الأمير

---

(١) الخرائج والجرائح: ٧٩٦ـ٧٩٧ ب١٦ ح٦.
ونفس الرواية أوردها صاحب مختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله الأشعري ص١٠٨.
(٢) بشارة المصطفىٰ لشيعة المرتضىٰ: ١٩٣ـ١٩٤.

عليه السلام قال: الذي قال الله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[1] والذي ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ و﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾[2] والذي صدق به؛ أنا.[3]

وروىٰ الحبري[4] في تفسيره قال: حدثني سعيد بن عثمان، عن أبي مريم قال: حدثني عبد الله بن عطاء قال: كنت جالساً مع أبي جعفر في المسجد فرأيت ابناً لعبد الله ابن سلام جالساً في ناحية، فقلت لأبي جعفر: زعموا إن أبا هذا الذي: ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ قال: لا إنما ذلك علي ابن أبي طالب أمير المؤمنين.[5]

وما يقرب منه روىٰ العياشي مرسلاً عن عبد الله بن عطاء قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: هذا ابن عبد الله بن سلام بن عمران يزعم أن أباه الذي يقول الله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ قال: كذب، هو علي بن أبي طالب عليه السلام.[6]

---

(١) هود: ١٧.

(٢) الزمر: ٣٣.

(٣) كتاب سليم بن قيس: ٦٨.

(٤) أبو عبد الله الكوفي الحسين بن الحكم بن مسلم الحبري من أعلام القرن الثالث توفي سنة ٢٨٦.

(٥) تفسير الحبري: ٢٨٥ـ٢٨٦ رقم ٤١.

(٦) تفسير العياشي ١: ٢٣٦ ح٧٨.

وعن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر(ع) قال: سألته عن قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فقال: نزلت في علي بعد رسول الله ﷺ وفي الأئمة بعده وعلي عنده علم الكتاب.(١)

وعن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: نزلت في علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إنه عالم هذه الأمة بعد النبي (صلوات الله عليه وآله).(٢)

وعن بريد بن معاوية العجلي قال: قلت لأبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: إيانا عنىٰ، وعلي أفضلنا وأولنا وخيرنا بعد النبي ﷺ.(٣)

ورویٰ الشيخ المفيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رجاله مسنداً إلى سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا سلمان الويل كل الويل لمن لايعرف لنا حق معرفتنا وأنكر فضلنا، يا سلمان أيّما أفضل محمد ﷺ أو سليمان ابن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قال سلمان: فقلت: بل محمد ﷺ فقال: يا سلمان هذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش

---

(١) نفسه: ١: ٢٣٦ ح٧٩.
(٢) تفسير العياشي ١: ٢٣٦ ح٨٠.
(٣) نفسه ١: ٢٣٦ ح٧٧.

بلقيس من سبأ إلىٰ فارس[1] في طرفة عين، وعنده علم من الكتاب ولا أقدر أنا وعندي علم ألف كتاب! إلىٰ أن قال: إعلم يا سلمان إن الشاك في أمورنا وعلومنا كالممتري في معرفتنا وحقوقنا وقد فرض الله تعالىٰ ولايتنا في كتابه في غير موضع، وبيّن فيه ما وجب العمل به وهو مكشوف.[2]

* * *

وإزاء هذه الكمية الكبيرة من الروايات الصحيحة، وغيرها من الروايات الضعيفة المؤيّدة بورودها عبر الاسانيد الصحيحة التي تعمل علىٰ جبر ضعفها، فمن الحق التساؤل عن الأسباب التي تجعل تيار الإنحراف يغض النظر عنها بمجموعها، ليأخذ ببعض روايات العامة، علماً أن الدلالات القرآنية كما وجدناها بعيدة كل البعد عن النهج الذي سار عليه تيار الإنحراف، ناهيك عن أن الائمة عليهم السلام أعربوا عن تسفيه الدلالات التي حاول البعض تزييف الفهم القرآني بها.

فلو كان تيار الإنحراف إمامياً، بل ومن أعلام

---

(١) كذا في المصدر، ولعل فيه تصحيف أو توهم من الراوي.
(٢) تأويل الآيات الظاهرة: ٢٤٠ ح٢٤.

الإمامية ــ كما يدعي البعض ــ فما له يضرب عن روايات أهل البيت عليهم السلام الصحيحة والموثوقة صفحاً، ويتنكر لمجموعة ضخمة من روايات أخرىٰ لها نفس المصداقية، تؤكد على نفس مفهوم هذه الروايات ــ كما سيظهر بعد قليل ــ ويأخذ بروايات سبق لأهل البيت عليهم السلام أن كذبوها؟ أو ليس إتباع أهل البيت يعني العمل بسنتهم؟!.

ولو لم يكن إمامياً، فما له لم يأخذ بالروايات المتعلقة بشأن نزول الآية بحق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والموجودة في كتب العامة فلقد روىٰ الجوزي عن ابن الحنفية قوله: أنه علي بن أبي طالب.[1]

ونقل القرطبي عن عبد الله بن عطاء قوله: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم): زعموا أن الذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام؟ فقال إنما ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم قال القرطبي: وكذلك قال محمد بن الحنفية.[2]

ونقل القندوزي الحنفي، عن الثعلبي؛ وابن المغازلي الشافعي بسنديهما عن عبد الله بن عطاء قال: كنت مع محمد الباقر رضي الله عنه في المسجد فرأيت ابن عبد الله بن سلام

(١) زاد المسير في علم التفسير ٤ : ٢٥٢.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٩ : ٢٢٠.

فقلت: هذا ابن الذي عنده علم الكتاب؟ قال: إنما ذلك علي بن أبي طالب.[1]

وكذا نقل عن الثعلبي وأبي نعيم بسنديهما عن زاذان، عن محمد بن الحنفية قال: من ﴿عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ علي بن أبي طالب.[2]

ونقل عن الفضيل بن يسار، عن الباقر عليه السلام قال: هذه الآية نزلت في علي عليه السلام إنه عالم هذه الأمة.[3]

ونقل جملة من الأحاديث من طرق أهل البيت عليهم السلام قد ذكرناها سابقاً ومن جملتها ما رواه عن الصادق عليه السلام أنه قال: علم الكتاب كله والله عندنا، وما أعطي وزير سليمان بن داود عليهما السلام، إنما عنده حرف واحد من الأسم الأعظم، وعلم بعض الكتاب كان عنده قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي بعض الكتاب ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ قال أبو عبد الله: إن الله تبارك وتعالىٰ: قال لموسىٰ: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ﴾[4] بمن

---

(١) ينابيع المودة ١: ٣٠٥ ب٣٠ ح١.
(٢) ينابيع المودة ١: ٣٠٧ ب٣٠ ح٢.
(٣) نفسه: ح٣.
(٤) الاعراف: ١٤٥.

التبعيض، وقال في عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾[1] بكلمة البعض، وقال في علي عليه السلام: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ أي الكتاب، وقال: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[2] وعلم هذا الكتاب عنده.[3]

وعن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذه الآية: ﴿الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ قال: ذاك وزير أخي سليمان بن داود عليه السلام، وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: ذاك أخي علي بن أبي طالب.[4]

وقال: وقد روي عن موسىٰ بن جعفر، وعن زيد ابن علي، وعن محمد بن الحنفية، وعن سلمان الفارسي، وعن أبي سعيد الخدري، وإسماعيل السدي أنهم قالوا في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾: هو علي بن أبي

---

(١) الزخرف: ٦٣.
(٢) الانعام: ٥٩.
(٣) ينابيع المودة ١: ٣٠٦ ب٣٠ ح٦.
(٤) نفس المصدر: ٣٠٧ ح٧.

طالب.[1]

وروىٰ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من ﴿عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ إنما هو علي، لقد كان عالماً بالتفسير والتأويل والناسخ والمنسوخ.[2]

وروىٰ عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه قوله: عند أبي أمير المؤمنين علي(صلوات الله عليه) علم الكتاب الأول والآخر.[3]

ونقل عن سليم بن قيس، عن قيس بن سعد بن عبادة أنه قال: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ علي. قال: معاوية بن أبي سفيان: هو عبد الله بن سلام قال [قيس ابن] سعد: أنزل الله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾[4] وأنزل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾[5] فالهادي من الآية الأولىٰ، والشاهد من الآية الثانية علي، لأنه نصبه صلى الله عليه وآله وسلم يوم الغدير، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، وقال: أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه

---

(١) نفس المصدر: ٣٠٧ ح٨.
(٢) نفس المصدر: ٣٠٨ ح١١.
(٣) نفسه: ٣٠٨ ح١٢.
(٤) الرعد: ٧.
(٥) هود: ١٧.

لانبي بعدي، فسكت معاوية ولم يستطع أن يردّها.[1]

ثم قال نقلاً عن بعض المحققين: إن الله تبارك وتعالىٰ بعث خاتم أنبيائه وأشرف رسله وأكرم خلقه بمنه وتحننه وفضله العظيم، بسابق علمه ولطفه بعد أخذه العهد والميثاق علىٰ أنبيائه وعباده بمحمدﷺ بقوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[2] ولما فتح الله أبواب السعادة الكبرىٰ والهداية العظمىٰ برسالة حبيبه على العرب وقريش وخصوصاً على بني هاشم بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[3] ورهطك المخلصين، اقتضى العقل أن يكون العالم بجميع أسرار كتاب الله، لابد أن يكون رجلاً من بني هاشم بعد النبيﷺ، لأنه أقرب له من سائر قريش، وأن يكون إسلامه أولاً ليكون واقفاً على أسرار الرسالة وبدء الوحي، وأن يكون جميع الأوقات عنده بحسن المتابعة ليكون خبيراً عن جميع أعماله وأقواله، وأن يكون من طفوليته منزهاً من أعمال الجاهلية ليكون متخلقاً بأخلاقه ومؤدباً بآدابه ونظيراً بالرشيد من أولاده فلم يوجد هذه الشروط لأحد إلا في علي عليه السلام.

---

(١) ينابيع المودة ١: ٣٠٨ــ٣٠٩ ح١٣.

(٢) آل عمران: ٨١.

(٣) الشعراء: ٢١٤.

وأما عبد الله بن سلام لم يسلم إلا بعد الهجرة فلم يعرف سبب نزول السور التي نزلت قبل الهجرة، ولما كان حاله هذا لم يعرف حق تأويلها بعد إسلامه، مع ان سلمان الفارسي الذي صرف عمره الطويل ـ ثلاثمائة وخمسين سنة ـ في تعلم أسرار الانجيل والتوراة والزبور وكتب الأنبياء السابقين والقرآن لم يكن من ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لفقده الشروط المذكورة، فكيف يكون من ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ابن سلام الذي لم يقرأ الانجيل ولم يوجد فيه الشروط، ولم يصدر منه مثل ما صدر من علي يعسوب الدين من الأسرار والحقائق في الخطبات مثل قوله: «سلوني قبل أن تفقدوني فإن بين جنبي علوماً كالبحار الزواخر» ومثل ما صدر من أولاده الأئمة الهداة (عليهم سلام الله وبركاته) من المعارف والحكم في تأويلات كتاب الله واسراره.[1]

ونقل الحاكم الحسكاني الحنفي في كتابه شواهد التنزيل أغلب هذه الروايات[2]

---

(١) ينابيع المودة ١: ٣٠٩ـ٣١٠.
(٢) شواهد التنزيل ١: ٣٠٧ـ ٣٠٨.

وكان ابن المغازلي الشافعي قد قال: اخبرنا أحمد ابن محمد بن طاوان إذنا أن أبا أحمد عمر بن عبد الله بن شوذب أخبرهم قال: حدثنا محمد بن جعفر بن محمد العسكري حدثنا محمد بن عثمان حدثنا إبراهيم بن محمد ابن ميمون حدثنا علي بن عابس قال: دخلت أنا وأبو مريم على عبد الله بن عطاء[1] قال أبو مريم: حدّث علياً بالحديث الذي حدثتني عن أبي جعفر قال: كنت عند أبي جعفر جالساً إذ مرّ عليه ابن عبد الله بن سلام قلت: جعلني الله فداك هذا ابن الذي عنده علم من الكتاب؟ قال: لا، ولكنه صاحبكم علي بن أبي طالب الذي نزلت فيه آيات من كتاب الله عزّ وجلّ: الذي ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2] ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾

---

(١) قال الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمته: عبد الله بن عطاء المكي: صدوق إن شاء الله. «ميزان الاعتدال ٢: ٤٦١ رقم ٤٤٥١».

(٢) في أصل الكتاب الذي عنده علم من الكتاب، ولا يصح للإتفاق على أن هذا الوصف متعلق بوزير سليمان من جهة، وللروايات السابقة التي وردت عن عبد الله بن عطاء والتي تتحدث عن آية الرعد، وليس عن آية النمل، ولهذا صححناه، ولعله من أخطاء النساخ..

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾[1] الآية.[2]

وقال الآلوسي: وقال محمد بن الحنفية والباقر كما في البحر: المراد «بمن» علي (كرّم الله تعالى وجهه) والظاهر أن المراد بالكتاب حينئذ القرآن.[3]

* * *

هذه جملة من مرويات أهل العامة قدّمتها لا على سبيل الحصر والاستقصاء، وإنما هو قراءة لما عنّ لنا من مصادرهم، فعلام إذن ترك داعية الإنحراف كل هذه الروايات، وتلكم التي أوردناها عن أهل البيت عليهم السلام ؟!، وتشبّث بروايات لاتستقيم لها طرق القوم، فضلاً عن طرق أهل البيت عليهم السلام، أهو أمية وجهل بالقرآن؟ أم إحنة تجاه علي!؟ أم ممالأة لأهل الكتاب؟! لعل هذه التساؤلات لو ربطت بما سننقله من أقوال تيار الإنحراف تجاه الإمام أمير المؤمنين وخطه، ما من شأنه أن يكشف لنا عن الأجوبة الحقيقية المؤلمة!.

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) مناقب ابن المغازلي الشافعي: ٣١٣ــ٣١٤ ح٣٥٨.

(٣) روح المعاني ١٣: ١٧٦.

ولكننا قبل أن ننتهي من هذا الفصل لابد لنا من وقفة مختصرة تجاه بعض ما قيل في تفسير الآية بحق علي، فلقد نقل القرطبي عن القاضي أبي بكر بن العربي قوله: أما من قال إنه علي فعوّل على أحد وجهين: إما لأنه عنده أعلم المؤمنين وليس كذلك، بل أبو بكر وعمر وعثمان أعلم منه! ولقول النبيﷺ أنا مدينة العلم وعلي بابها وهو حديث باطل!.[1]

ولعمري لم اكن لأعلم أن طائفية البعض قد تبلغ به حدّ الجهل المريع! حتى اطلعت علىٰ أفكار ابن تيمية بحق الإمام وأقوال ابن العربي هذا في هذا المجال وفي قواصمه علىٰ العواصم، ولم أجد من يقول بأن منزلة علي ابن أبي طالب هذه المنزلة حتى قرأت هذا المقال، فأين الثرىٰ من الثريا؟ وأين التراب من التبر؟ حاشا لله تلك كلمة أنت قائلها ما انزل بها من سلطان، أو خفي على هذا الرجل ان من وصفهم بالأعلمية كانوا يرجعون إليه حتى قال قائلهم: لا أبقاني الله لمعضلة ليس فيها ابو الحسن، وهتف هاتفهم تكراراً ومراراً: لولا علي لهلك عمر؟ فإن خفيت عليه هذه الأمور، فلعمري هو أجهل من أن يناقش، وإن لم تخف عليه فلقد كتم حقاً وأظهر

---

(١) الجامع لأحكام القران ٩ : ٢٢٠.

باطلاً!!.

والأعجب من ذلك قوله ببطلان حديث «أنا مدينة العلم» وهو حديث متسالم عليه جداً بين أرباب الحديث، ويكفي في هذا الصدد أن أذكر أن حجة القوم أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني قد ألف كتاباً من طرقهم أسماه «فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي» ذكر فيه عشرات الطرق التي أوردت الخبر وصححها[1].

وقال الآلوسي معلقاً علىٰ الآية واختصاصها بعلي عليه السلام : ولعمري إن عنده رضي الله تعالى عنه علم الكتاب كملاً، لكن الظاهر أنه (كرم الله تعالى وجهه) غير مراد.[2]

وقريب منه محمد حسين فضل الله الذي قال: فالرواية[3] بحسب ظاهر السياق القرآني يراد فيها علماء

---

(١) أنظر طبعة الكتاب من قبل مطبعة السعادة بالقاهرة١٩٦٩ بتحقيق احمد محمد مرسي وذلك بمعية كتاب علي بن أبي طالب إمام العارفين أو البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي لنفس المؤلف.

(٢) روح المعاني ١٣ : ١٧٦.

(٣) والصحيح الآية، ولعله من سبق اللسان.

أهل الكتاب وهذا لاينفي أن الإمام علي(ع) كان يعلم علم الكتاب.[1]

والكلام هنا يتوجه إلىٰ هؤلاء وأمثالهم، فما دمتم تقرّون بأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام له هذا العلم، فمالذي يمنع من أن تكون الآية نازلة بحقه، خصوصاً وأن الأدلة التي ذكرتموها بحيازة الآية عنه عليه السلام غير مكتملة علىٰ أقل التقادير، ومتعارضة بشدة مع الكثير من أخبار نفس أهل العامة؟.

ولئن كان المتكلم مع الآلوسي يعرف حدوده لأن الرجل له شجاعة الإنتماء إلىٰ مذهبه، وبالتالي فله ان يقول ما يحلو لمذهبه أن يقول، ولكن ما بال أمثال محمد حسين فضل الله؟ فهو في هذه ومئات غيرها[2] يقف مع القوم بكل ما أوتي من قوة، في حين لايمتلك الجرأة في البوح بشكل رسمي ببعده عن الإمامية!.

---

(١) جريدة فكر وثقافة العدد: ٤١ ص٤.

(٢) للتفصيل أنظر كتابنا: التحريفية الجديدة؛ المعالم والتداعيات، وكذا كتاب خلفيات كتاب مأساة الزهراء للعلامة السيد جعفر مرتضىٰ(حفظه الله).

ج ـ ايات اخرى شاهدة على شاهدية أمير المؤمنين عليه السلام في روايات المعصومين

نتعرض هنا ضمن عجالة من الوقت وضيق من الحيّز، إلىٰ ما وعدنا من قبل بالحديث عن الآية القرآنية ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ وكونها تمثل المصداق التفسيري لآية: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وكذا الآية الكريمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1]، وسنقتصر في الحديث علىٰ ما ورد في الروايات الصحيحة والموثوقة لأهل البيت عليهم السلام في تفسيرها والله نعم المستعان.

---

(١) البقرة: ١٤٣.

أ ـ علي الشاهد الذي يتلو من كان على بينة

تقدّم الآية القرآنية الكريمة: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ الدليل الدامغ على هوية شاهد آية سورة الرعد، وقد تعاضدت روايات أهل البيت عليهم السلام وكذا روايات غيرهم، علىٰ ذكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعنوانه شخص هذه الآية فقد روىٰ ثقة الإسلام الكليني(قدّس الله أنواره) موثوقة الحسين بن محمد، عن المعلىٰ بن محمد، عن الحسن بن علي، عن أحمد بن عمر الحلال قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ فقال: أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الشاهد على رسول الله صلى الله عليه وآله، ورسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ بيّنة من ربه.[1]

وفي معتبرة محمد بن الحسين، عن عبد الله بن حماد، عن أبي الجارود، عن الأصبغ بن نباتة قال: قال

---

(١) الكافي ١ : ١٩٠ ب٦٧ ح٣.

أمير المؤمنين عليه السلام: لو كسرت لي وسادة فقعدت عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وأهل الإنجيل بإنجيلهم وأهل الزبور بزبورهم، وأهل الفرقان بفرقانهم بقضاء يصعد إلىٰ الله يزهر، والله ما نزلت آية في كتاب الله في ليل أو نهار إلا وقد علمت فيمن أنزلت، ولا ممن مرّ علىٰ رأسه المواسي[1] من قريش، إلا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله تسوقه إلىٰ الجنة أو إلى النار، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما الآية التي نزلت فيك؟ قال له: أما سمعت الله يقول: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾؟ قال: رسول الله على بيّنة من ربّه، وأنا شاهد له فيه وأتلوه معه.[2]

وقد روىٰ سليم بن قيس في كتابه عن أمير المؤمنين قوله لمن سأله عن الذي قال الله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ فقال: انا.[3]

وفي معتبرة علي بن إبراهيم في تفسير آية: ﴿وَشَهِدَ

---

(١) أي بلغ الحلم.
(٢) بصائر الدرجات: ١٥٣ ج٣ ب٩ ح٢. والحديث مقطع والكثير من الأسانيد التي روت أجزاءه صحيحة.
(٣) كتاب سليم بن قيس: ٦٨.

﴿شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[1] قال: الشاهد أمير المؤمنين والدليل عليه في سورة هود ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾.[2]

وقد ذكر الشيخ الصدوق إختصاص الآية بأمير المؤمنين عليه السلام في عقائده،[3] وفي كمال الدين وتمام النعمة.[4]

ونقل في الإحتجاج باسناده إلىٰ سليم بن قيس قوله: سأل رجل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال وأنا أسمع: أخبرني بأفضل منقبة لك؟ قال: ما انزل الله في كتابه، قال: وما أنزل الله فيك؟ قال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾ أنا الشاهد من رسول الله عليه السلام.[5]

وفي مختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله بإسناده إلى أبي الطفيل قوله لأمير المؤمنين ضمن حديث طويل: يا أمير المؤمنين قول الله عزّ وجلّ: ﴿۞وَإِذَا وَقَعَ

---

(١) الأحقاف: ١٠.

(٢) تفسير القمي ٢: ٢٧٢.

(٣) عقائد الصدوق: ٥١.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ١٣.

(٥) الاحتجاج: ١٥٩.

ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[1] مالدابة؟.

قال: يا أبا الطفيل إله عن هذا؟.

فقلت: يا أمير المؤمنين أخبرني به جعلت فداك.

قال: هي دابة تأكل الطعام وتمشي في الأسواق وتنكح النساء.

فقلت: يا أمير المؤمنين من هو؟.

قال: هو رب[2] الأرض الذي تسكن الأرض به.

قلت: يا أمير المؤمنين من هو؟.

قال: الذي قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ والذي ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ والذي ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[3] أنا.[4]

وقد روىٰ الإمامية وغيرهم من طرق الخاصة والعامة الكثير من الروايات التي تجمع علىٰ إختصاص

---

(١) النمل: ٨٢.

(٢) رب الشيء: سيده.

(٣) الزمر: ٣٣.

(٤) مختصر بصائر الدرجات: ٤٠.

الآية بأمير المؤمنين عليه السلام : ـ فلقد روىٰ الشيخ المفيد (أعلى الله مقامه) عن أبي الحسن علي بن بلال المهلبي قال: حدثنا علي بن عبد الله بن أسد الاصفهاني قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الثقفي قال: حدثنا إسماعيل بن أبان قال: حدثنا الصباح بن يحيىٰ المزني، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله قال: قدم رجل إلىٰ أمير المؤمنين فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان علىٰ بينة من ربه، وأنا الشاهد له ومنه.[1]

ونقل العياشي في تفسيره عن عمار بن سويد، عن الإمام الصادق عليه السلام قوله في حديث طويل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أمير المؤمنين عليه السلام.[2]

وروىٰ عن بريد بن معاوية العجلي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الذي علىٰ بيّنة من ربه رسول الله صلى الله عليه وآله ، والذي تلاه من بعده الشاهد منه أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم

---

(١) أمالي المفيد: ١٤٥ م١٨ ح٥. والحديث طويل أخذنا موضع الحاجة منه.

(٢) تفسير العياشي ٢ : ١٥٢ ح١١.

أوصياؤه واحد بعد واحد.[1]

وعن جابر، عن عبد الله بن يحيىٰ قال: سمعت علياً عليه السلام وهو يقول: ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه آية أو آيتان من كتاب الله، فقال له رجل من القوم: فما نزل فيك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أما تقرأ الآية التي في هود: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ محمد علىٰ بينة من ربه، وأنا الشاهد.[2]

ونقل فرات الكوفي عشر روايات على طريقته في الجمع بين رواة العامة والخاصة وبحذف بعض الأسانيد مسندة إلىٰ أمير المؤمنين والإمام الباقر عليه السلام.[3]

ونقل الحبري عن إسماعيل بن صبيح قال: حدثنا أبو الجارود، عن حبيب بن يسار، عن زاذان قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو كسرت لي وسادة وأجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، بقضاء يزهر يصعد إلىٰ الله.

---

(١) نفسه ٢: ١٥٢ ح١٢.
(٢) تفسير العياشي ٢: ١٥٣ ح١٣.
(٣) تفسير فرات الكوفي: ١٨٧ـ١٩١ ح٢٣٧ـ٢٤٦.

والله ما نزلت آية في ليل أو نهار ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر، إلا وقد عرفت أي ساعة نزلت وفي من نزلت. ما من قريش رجل جرت عليه المواسي إلا أنا أعرف به، آية تسوقه إلىٰ جنة، وآية تسوقه إلىٰ نار.

فقام رجل فقال: ما آيتك يا أمير المؤمنين التي نزلت فيك؟ قال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ فرسول الله ﷺ علىٰ بينة من ربه، وأنا الشاهد منه أتلوه واتبعه.(١)

وقد روت العامة بطرق كثيرة مختلفة نزولها بحق أمير المؤمنين عليه السلام فلقد روىٰ الطبري عن عبد الله بن يحيىٰ قال: قال علي رضي الله عنه : ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان فقال له رجل: فأنت فأي شيء نزل فيك؟ فقال علي: أما تقرأ الآية التي نزلت في هود: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾.(٢)

وقد أخرج السيوطي عن ابن ابي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في المعرفة؛ وعنه عن ابن مردويه، وابن عساكر؛ وعنه، عن ابن مردويه بسند آخر أنه علي

---

(١) تفسير الحبري: ٢٧٦ـ٢٧٩ ح٣٦.
(٢) تفسير الطبري ١٢ : ١١.

عَلَيْهِ السَّلَامُ . [١]

وروىٰ الخازن في تفسيره عن جابر بن عبد الله عين رواية عبد الله بن يحيىٰ المتقدمة . [٢]

وروىٰ الجوزي في زاد المسير : أنه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ . [٣]

ونقل القرطبي عن ابن عباس أنه علي ، وكذا روىٰ رواية عبد الله بن يحيىٰ المتقدمة بدون اسناد . [٤]

وقال الرازي : وثالثها : أن المراد هو علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والمعنى أنه يتلو تلك البينة وقوله : ﴿ مِّنْهُ ﴾ أي هذا الشاهد من محمد وبعض منه ، والمراد منه تشريف هذا الشاهد بأنه بعض من محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ . [٥] وتابعه النيسابوري على ذلك . [٦]

وذكر نفس هذه المعاني الآلوسي في روح المعاني

---

(١) الدر المنثور ٣ : ٣٢٤ .
(٢) تفسير الخازن ٢ : ٣٢١ .
(٣) زاد المسير في علم التفسير ٤ : ٧٣ .
(٤) الجامع لأحكام القران ٩ : ١٣ .
(٥) تفسير الرازي ١٧ : ٢٠٩ .
(٦) غرائب القران ورغائب الفرقان ٩ : ١٦ .

مسنداً إلىٰ ابن أبي حاتم، وابن مردويه؛ وكذا إلى المنهال عن عبادة بن عبد الله؛ وأخرج عن ابن مردويه بطريق آخر.[1]

وقال صاحب تفسير المنار: ومنها أنه علي رضي الله عنه يرويه الشيعة.[2] وقوله: يرويه الشيعة، قولة معتادة منه كلما كان الحديث يتعلق بأهل البيت عليهم السلام وقد علمت وستعلم أن أغلب ما رواه رواة أهل البيت عليهم السلام إنما كان عن طريق العامة.

أما ما روته كتب حديث العامة المختصة فلقد روىٰ الحمويني في فرائد السمطين[3] ونقلها عنه القندوزي الحنفي حيث أخرج بسنده عن ابن عباس وبسنده عن زادان، عن علي(كرّم الله وجهه) قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان علىٰ بينة من ربه، وأنا التالي الشاهد منه. وكذا أخرجه بسنده عن جابر بن عبد الله، عن علي؛ وبسنده عن البحتري، عن علي بلفظه، وأخرجه موفق بن أحمد بسنده عن ابن عباس وأيضاً أبو نعيم والثعلبي والواقدي بأسانيدهم عن ابن عباس وزاذان وجابر كلهم عن

---

(١) روح المعاني ١٢ : ٢٧ــ٢٨.
(٢) تفسير المنار ١٢ : ٥٣.
(٣) فرائد السمطين ١ : ٣٣٨ــ٣٤٠ ح٢٦٠ــ٢٦٣.

علي.[1]

ثم روى عن عباد بن عبد الله رواية مقاربة لرواية عبد الله بن يحيى المتقدمة.[2]

وذكر سبط ابن الجوزي عن الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس: انه علي(ع) ومعنى يتلوه شاهد منه أنه أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ. ثم نقل عن الثعلبي رواية زاذان المتقدمة.[3]

ونقل المتقي الهندي في كنز العمال ما يقرب من روايتي زاذان وعبد الله بن يحيى.[4] وقريب منه ابن عساكر في تأريخ دمشق.[5] ونقل الحسكاني في شواهد التنزيل العديد من الروايات المقاربة لفظاً ومعنى.[6]

ونقل الموفق بن أحمد الخوارزمي في مناقبه عن ابن عباس قوله: هو علي عليه السلام شهد للنبي ﷺ وهو

---

(١) ينابيع المودة ١: ٢٩٤ ب٢٦ ح٣.
(٢) ينابيع المودة ١: ٢٩٥ ب٢٦ ح٤.
(٣) تذكرة الخواص: ٢٥ـ٢٦.
(٤) كنز العمال ٢: ٤٣٩ ح٤٤٤٠ـ٤٤٤١.
(٥) ترجمة الإمام علي(ع) من تأريخ دمشق ٢: ٤٢١.
(٦) شواهد التنزيل ١: ٢٧٥ـ٢٨٢.

منه.[1]

ونقل ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله قال: سمعت علياً وساق الحديث كما ذكره زاذان في الرواية المتقدمة.[2]

ونقل ابن أبي الحديد المعتزلي عن المنهال بن عمرو، عن الحارث بن عبد الله ما يقرب من رواية المنهال وزاذان.[3]

* * *

على أننا نلمس من مفاد روايات أخرىٰ ـ وكما هو واقع الحال ـ تعميم فكرة الشهادة لكل أئمة أهل البيت عليهم السلام، ففي معتبرة علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن يحيىٰ بن أبي عمران، عن يونس، عن أبي بصير؛ والفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنما نزلت[4] ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَيَتْلُوهُ

(١) المناقب: ٢٧٨ ح٢٦٧.
(٢) مناقب ابن المغازلي: ٢٧٠ـ٢٧١ ح٣١٨.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٢: ٢٧٨.
(٤) أراد بالتنزيل هنا مراده، أي أنها وقتما نزلت كانت تعطي هذا الفهم.

﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ إماماً ورحمة.[1]

وروىٰ الطبرسي بإسناده إلى أمير المؤمنين قوله: وأما قوله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ فذلك حجة الله أقامها علىٰ خلقه، وعرفهم أنه لا يستحق مجلس النبي إلا من يقوم مقامه، ولا يتلوه إلا من يكون في الطهارة مثله، لئلا يتسع لمن ماسّه حس الكفر في وقت من الأوقات انتحال الاستحقاق بمقام رسول الله ﷺ وليضيق العذر علىٰ من يعينه علىٰ إثمه وظلمه، إذ كان الله قد حظر علىٰ من ماسّه الكفر تقلد ما فوضه إلى انبيائه وأوليائه، بقوله لإبراهيم: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2] أي المشركين، لأنه سمّىٰ الظلم شركاً بقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3] فلما علم إبراهيم عليه السلام أن عهد الله تبارك وتعالى اسمه بالإمامة لاينال عبدة الأصنام، قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[4].

واعلم أن من آثر المنافقين علىٰ الصادقين، والكفار علىٰ الأبرار، فقد افترى إثماً عظيماً، إذا كان قد بيّن في

---

(١) تفسير القمي ١ : ٣٢٥ـ٣٢٦.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) لقمان: ١٣.

(٤) إبراهيم: ٣٥.

كتابه الفرق بين المحقّ والمبطل، والطاهر والنجس، والمؤمن والكافر، وأنه لا يتلو النبي عند فقده إلا من حلّ محله صدقاً وعدلاً وطهارة وفضلاً.[1]

هذا وقد تقدّمت معنا رواية العياشي عن بريد بن معاوية العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الذي على بيّنة من ربّه رسول الله صلى الله عليه وآله، والذي تلاه من بعده الشاهد منه أمير المؤمنين عليه السلام، ثم أوصياؤه واحد بعد واحد.[2]

* * *

نكتفي بهذا المقدار من الروايات سردناها علىٰ عجل دونما استقصاء وحصر، وهي تؤكد بمجموعها عامّها وخاصّها علىٰ اختصاص الآية الكريمة بأمير المؤمنين عليه السلام، وتعدد طرقها وكثرتها يجبر ضعف[3]

---

(١) الاحتجاج: ٢٥١.

(٢) تفسير العياشي ٢: ١٥٢ ح١٢.

(٣) ينبغي ان ننبه إلىٰ حقيقة أن كون الحديث ضعيفاً، لايعني اسقاطه بالمطلق، وإنما لايحتج به في مقام الفتوىٰ، أما في المسائل العقائدية وأمثالها، فمن الواجب الاعتناء به، خصوصاً إذا كانت الفكرة العامة لها مؤيدة بالقرآن وصحيح =

بعض هذه الطرق.

ومثلما وجدنا في الآية السابقة فإن حظ تيار الإنحراف يتنكب هذه المرة أيضاً فلقد قال داعية الإنحراف في معرض تفسيره لهذه الآية: وقد اختلف المفسرون في شخصية هذا الذي كان على بينة من ربه، هل هو رسول الله، أو المؤمنون الذين كانوا معه، او جميع المؤمنين، وعن طبيعة هذه البينة، هل هي القران أو العقل والوجدان، أو شيء آخر غير ذلك، وفي شخصية الشاهد هل هو القران، أو جبرئيل أو الإمام علي.. أو غير ذلك من الإحتمالات كما تعددت الروايات فيه مما لايمكن الركون إليها لخلل في سند بعضها، وارتباك في مضمون البعض الآخر، ولا نجد في هذا المجال أوثق من عدم الخوض في ذلك[1].

= الحديث، وعلى أقل التقادير لاينبغي إسقاطها وتكذيبها، لأن كون الخبر ضعيفاً لا يعني أن احتمال الصدق لاوجود له فيه، ففي بعض الضعاف يكون الاحتمال كبيراً بحيث أنه لامجال لترجيح الكذب على الصدق فيه كما في المرسلات أو في الرجال المهملين والمجهولين.

(١) من وحي القرآن؛ محمد حسين فضل الله ١٢: ٤٥ـ٤٦ دار الزهراء؛ الطبعة الأولىٰ ١٩٨٥ بيروت.

وفي قوله هذا محطات ينبغي أن تستوقفنا، ومن جملتها:

أ ــ إن الإضطراب الذي تعرض لذكره لايعني رواية أهل البيت عليهم السلام فهي متفقة شكلاً ومضموناً كما رأينا، وإنما هذا الأمر يتعلق برواية العامة، وهي ليست حجة في نفسها، فكيف يمكن أن تكون حجة في ترك رواية أهل البيت عليهم السلام ؟.

ب ــ إن الروايات العامية التي تعرضت للإمام علي عليه السلام في هذا المجال لا تعاني مما أسماه بالخلل والارتباك، واختلاف جملها وتعدد مصادرها، إنما يشير إلىٰ الاستفاضة في رواية الخبر من جهة، وتعدد المواضع التي قيلت فيه.

ج ــ إن الاضطراب الذي اشتملت عليه روايات العامة كان في محاولة ذود تفسير الآية بعيداً عن الإمام علي عليه السلام ، وهو أمر اعتدنا عليه مع كل الآيات التي نزلت بحق أمير المؤمنين عليه السلام ، ولو سرنا مع هذه الروايات وجعلناها في نفس مرتبة روايات أهل البيت عليهم السلام ، فمما لاشك فيه أننا سوف نسقط كل رواية لأهل البيت عليهم السلام بحجة وجود معارض لها.

د ــ إننا هنا نلمس وللمرة الثانية في هذا البحث

جفاء تيار الإنحراف لرواية أهل البيت عليهم السلام وبعده عنها، وهذا ما يدفعنا للتساؤل من جديد عن طبيعة إيمان هؤلاء بخط أهل البيت عليهم السلام، فلو كانوا مؤمنين حقاً بهم، فلمَ إعمال نفس حجج مخالفيهم على رواياتهم، وهذه الحجج ليست في مصاف الحجج الموضوعية القابلة للتحاجج، وإنما في معظمها الأغلب من بُنات أكاذيب السياسة والطائفية، ولا تخفىٰ على ذي لُب، وكان بإمكانهم ترك الحديث ـ على الأقل ـ عن البعد الروائي في الآية، أما ترك رواية أهل البيت عليهم السلام، والتحاجج بما لدىٰ أهل العامة من أخبار متعارضة، فعلى أي مستوىٰ يمثل إيماناً بمدرسة أهل البيت عليهم السلام !!، وهل سيكون إدعاء البعض بإيمانهم بهذا الخط، بل وبزعامة هذا الخط، إلا إكذوبة من أكاذيب أم عمرو؟!.

ب ـ الأمة الوسط ..
إخفاق اخر لخط الإنحراف

تقدم الآية الكريمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1] شاهداً آخراً علىٰ أن دور الشهادة دور رباني خصّه لأهل بيت النبوة عليهم السلام دون غيرهم من الناس، ومع هذه الآية نجد وللمرة الثالثة تعاضد خط الإنحراف علىٰ السير بعيداً عن هدىٰ أهل البيت عليهم السلام، وعمله بمعتقدات أهل العامة، فعلىٰ الرغم من كثرة الأحاديث الصحيحة والموثوقة الواردة عنهم(صلوات الله عليهم) وتأكيدهم علىٰ إختصاص الوسطية والشهادة لهم دون غيرهم، يطالعنا داعية الإنحراف بجعل الوسطية والشاهدية لغيرهم عملاً بالوصية المعروفة أيام السقيفة: «وسعوها تتسع» فأخرجها من إطار أهل البيت عليهم السلام وأحالها علىٰ عناوين لاتصلح للشهادة على نفسها فضلاً عن غيرها، وفي بحثنا

---

(١) البقرة: ١٤٣.

الروائي المقتضب هنا سنجد عمق التناقض الذي اختطه داعية الإنحراف لتيار الإنحراف مع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في اطلاق مفهوم الشاهدية بعيداً كل البعد عن كل التأكيدات الإمامية بتخصيص الوسطية والشاهدية بأهل البيت عليهم السلام ، فمن جملة روايات أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال صحيحة الحسين بن محمد، عن المعلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن عمر بن أذينة، عن بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ قال: نحن الأمة الوسطى، ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه، قلت: قول الله عزّ وجلّ ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ قال: إيانا عنى خاصة ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ في الكتب التي مضت ﴿ وَفِي هَٰذَا ﴾ القرآن ﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ ﴾ عليكم شهيداً، فرسول الله صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله عزّ وجلّ ونحن الشهداء على الناس، فمن صدّق صدّقناه يوم القيامة، ومن كذّب كذّبناه يوم القيامة.(١)

وفي صحيحة علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد العجلي

---

(١) الكافي ١: ١٩٠ ب٦٧ ح٢. والآية في الحج: ٧٨.

قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله تبارك وتعالىٰ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ قال: نحن الأمة الوسطىٰ، ونحن شهداء الله تبارك وتعالىٰ علىٰ خلقه، وحججه في أرضه، قلت: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ * وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ قال: إيّانا عنىٰ، ونحن المجتبون، ولم يجعل الله تبارك وتعالىٰ ﴿فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ فالحرج أشدّ من الضيق ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ قال: إيانا عنىٰ خاصة و﴿سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ الله سمانا المسلمين ﴿مِن قَبۡلُ﴾ في الكتب التي مضت ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ القرآن ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ عليكم شهيداً وتكونوا شهداء على الناس، فرسول الله صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلّغنا عن الله تبارك وتعالىٰ، ونحن الشهداء على الناس، فمن صدّق صدّقناه يوم القيامة، ومن كذّب كذّبناه.[(١)]

وفي صحيحة علي بن إبراهيم، عن حماد بن عيسىٰ، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن سليم بن قيس الهلالي، عن أمير المؤمنين(صلوات الله عليه) قال: إنّ

---

(١) الكافي ١ : ١٩١ ب٦٧ ح٤.

الله تبارك وتعالىٰ طهّرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه، وحجته في أرضه، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا، لانفارقه ولا يفارقنا.(١)

وفي صحيحة أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسىٰ، عن إبراهيم بن عمرو اليماني مثله.(٢)

وفي صحيحة أحمد بن محمد، عن أبيه، عن محمد،(٣) عن ابن أذينة، عن بريد العجلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ قال: نحن أمة الوسط، ونحن شهداء الله علىٰ خلقه، وحجته في أرضه.(٤)

وفي صحيحة يعقوب بن يزيد؛ ومحمد بن الحسين، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله

---

(١) الكافي ١: ١٩١ ب٦٧ ح٥.

(٢) بصائر الدرجات: ١٠٣ ج٢ ب١٣ ح٦.

(٣) محمد هذا هو ابن أبي عمير، وأحمد بن محمد هو ابن محمد بن عيسىٰ وكلهم من كبار الثقاة.

(٤) بصائر الدرجات: ٨٣ ج٢ ب٣ ح١١.

تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ قال: نحن الأئمة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه، وحجته في أرضه.(١)

وفي صحيحة عبد الله بن جعفر، عن محمد بن عيسىٰ، عن الحسين بن سعيد، عن جعفر بن بشير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ قال: نحن الأمة الوسط، ونحن شهداؤه على خلقه، وحجته في أرضه.(٢)

وفي صحيحة محمد بن عبد الجبار، عن محمد بن اسماعيل، عن علي بن النعمان، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بما عندهم من الحلال والحرام وبما ضيعوا منه.(٣)

وفي صحيحة سعد بن عبد الله، عن احمد بن محمد بن عيسىٰ؛ ومحمد بن عبد الجبار، عن محمد بن

---

(١) بصائر الدرجات: ١٠٢ ج٢ ب١٣ ح٣.
(٢) المصدر: ١٠٣ ج٢ ب١٣ ح٥.
(٣) نفسه: ٥٣٦ـ ٥٣٦ ج١٠ ب١٨ ح٤٥.

اسماعيل بن بزيع، عن علي بن النعمان، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ قال: نحن الشهداء على الناس بما عندنا من الحلال والحرام، وبما ضيعوا.[1]

وبهذا العدد الكبير من صحاح الروايات، يمكن جبر الكثير من الأخبار التي توصف بالضعف، خصوصاً إذا ما كان المتن يتفق مع متون الصحاح في اللفظ أو في المعنىٰ، إما لإرسال[2] كما في روايات تفسير العياشي حيث روىٰ عن أبي بصير قوله: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: نحن نمط الحجاز، فقلت: وما نمط الحجاز؟ قال: أوسط الأنماط إن الله يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: ثم قال: إلينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصّر.[3]

---

(١) مختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله: ٦٥.

(٢) ضعاف المراسيل ضُعّفت بسبب غياب بقية السند، وهي لهذا لايمكن ان تكذب أو ترد، لوجود احتمال كبير في ان يكون ما فقد من السند صحيحاً.

(٣) تفسير العياشي ١: ٨١ـ ٨٢ ح١١١.

وروىٰ عن عمر بن حنظلة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: هم الأئمة.[1]

وعن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ فإن ظننت ان الله عنىٰ بهذه الآية جميع اهل القبلة من الموحدين أفترىٰ أنّ من لا يجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟ كلا لم يعن الله مثل هذا من خلقه، يعني الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم كنتم خير أمة أخرجت للناس، وهم الأمة الوسطىٰ، وهم خير أمة أخرجت للناس.[2]

وإما لمجهولية حال أحد الرواة[3] كما في روايتي بصائر الدرجات عن كتاب بندار بن عاصم حيث حدث

---

(١) تفسير العياشي ١ : ٨٢ ح١١٢.

(٢) نفسه ١ : ٨٢ ح١١٤.

(٣) وهذه وإن عدت من الضعاف إلا انها من الصنف الذي لايرجح الضعف على القوة فيها، فقد يكون الضعيف قوياً، ولهذا فهي لا ترد ولا تكذب.

عبد الله بن محمد، عن إبراهيم بن محمد الثقفي،[1] قال: في كتاب بندار بن عاصم، عن الحلبي، عن هارون ابن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ قال نحن الشهداء على اناس بما عندهم من الحلال والحرام وما ضيعوا منه.[2] والخبر يصح لوروده بسند صحيح آخر كما مرّ.

وكذا حديث عبد الله بن محمد، عن إبراهيم بن محمد، في كتاب بندار بن عاصم، عن عمر بن حنظلة وقال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ قال: هم الأئمة.[3]

وكذا حديث عبد الله بن جعفر، عن محمد بن عيسىٰ، عن الحسين بن سعيد، عن جعفر بن بشير، عن عمرو بن أبي المقدام[4]، عن ميمون البان،[5] عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً

---

(١) ممدوح.
(٢) بصائر الدرجات: ١٠٢ ج٢ ب١٣ ح١.
(٣) نفسه: ١٠٢ ج٢ ب١٣ ح٢.
(٤) ممدوح.
(٥) مجهول وبقية رجال السند من أعلام الثقات.

﴿وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ قال: عدلاً ليكونوا شهداء علىٰ الناس قال: الأئمة ويكون الرسول شهيداً عليكم قال: علىٰ الأئمة(١).

وكما في رواية بشارة المصطفىٰ عن أبي أحمد يحيىٰ بن يحيىٰ المقري الفتىٰ الظريف قال: وجدت في كتاب عمي الفضل فيما كتبه عن أبي منصور أحمد بن العباس، عن أبيه، عن الفضل بن يحيىٰ قال: سئل أبو جعفر محمد بن علي[الجواد] في حديث طويل إلىٰ ان يقول: قلت: فقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ قال: نحن الأمة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه، وحجته علىٰ أرضه.. إلىٰ أن يقول: قلت فقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ * وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ قال: إيانا عنىٰ، نحن المجتبون، ولم يجعل علينا في الدين من ضيق؛ والحرج أشد من الضيق، ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ﴾ قال: إيانا عنىٰ خاصة ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ في الكتب التي مضت ﴿وَفِى هَٰذَا

---

(١) بصائر الدرجات: ١٠٢ ج٢ ب١٣ ح٤.

﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ فرسول الله ﷺ شهيد علينا فيما بلغنا عن الله عزّ وجلّ، ونحن الشهداء علىٰ الناس، فمن صدقنايوم القيامة صدقناه، ومن كذبنا يوم القيامة كذبناه. قال: فقوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: إيانا عنىٰ، وعلي أقضانا واولنا وخيرنا بعد النبي ﷺ.[1] والخبر كما ترىٰ مؤيد لورود متنه بنصوص متقاربة جداً مع الصحاح التي ذكرناها.

ولكن رغم كل هذه التأكيدات يأتي الرجل ليؤكد أنه يخالف ما ذهبت إليه الأئمة عليهم السلام من خلال طرحه لمفهوم هو أبعد ما يكون عن الحقيقة، وذلك ترداداً لمعتقدات المدارس الأخرىٰ، فحيث قالت أئمة أهل البيت عليهم السلام بأنهم هم الأمة الوسط قال هو مناقضاً لذلك في تفسير الوسطية في هذه الآية: إن الوسط من كل شيء أعدله وأفضله فكأن هذه الكلمة استعيرت للأمة المسلمة من أجل تأكيد الثقة في نفوسهم علىٰ أساس ما حباهم الله من هداية إلىٰ سبيله لئلا ينهاروا أمام تضليل المضالين وتشكيك المشككين.[2]

---

(١) بشارة المصطفىٰ لشيعة المرتضىٰ: ١٩٤.

(٢) الوسط والشهودية؛ مشروعان لإنقاذ الحضارة (مصدر سابق): ١٦٥، ويلاحظ أيضاً تفسيره من وحي القرآن؛ الجزء=

وحيث ما قال أهل البيت عليهم السلام بأن الشهادة شأن خاص بهم، فإنه قام أولاً بذكر إتجاهات التفسير لدىٰ أهل العامة فقط،[1] معرضاً عما اختصه أهل البيت عليهم السلام لأنفسهم، ومن ثم ليثبت أبعد المفاهيم عما ذهب إليه أئمة أهل البيت عليهم السلام فقال: وعلىٰ هذا، فإن كون الأمة شاهداً يتحرك في نطاق وجود العناصر الكثيرة في داخلها ممن يصلحون لمثل هذا الموقع الكبير وهم الطليعة الواعية المؤمنة التقية المنضبطة التي تفهم الإسلام حقّ الفهم وتعيه حق الوعي وتمارسه حق الممارسة وتحمله بروح رسولية رائدة انها النخبة الواعية الموجودة في كل زمان ومكان التي يقف الأئمة الطاهرون والعلماء الواعون والأولياء الطيبون والمجاهدون العاملون.[2]

= الرابع؛ من الطبعة الجديدة في موضع الآية.

(١) نفس المصدر: ١٦٦.

(٢) نفس المصدر: ١٦٨.

ج ـ على من تتنزل الملائكة والروح؟

تطرح سورة القدر مسألة نزول الملائكة والروح في كل ليلة قدر من كلّ سنة كواحدة من الحقائق القرآنية والكونية الثابتة، ولكنها في هذا الطرح تثير مسألة غاية في الأهمية بالنسبة لبحثنا هذا طالما تغافل أو أغفلها الكثير من المفسرين من العامة، وأعني بذلك طبيعة المهام المعلقة بليلة القدر، فلقد تحدث القرآن الكريم عن هذه المهام لمرتين واحدة في سورة الدخان: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[1] واخرىٰ في سورة القدر حينما قال جلّ من قائل: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ * لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[2] حيث أن الملاحظ في آيات سورة الدخان، وكما هو شأن الروايات الموثوقة أشارت إلىٰ أن هذه الليلة تقضىٰ فيها أقدار كل شيء، مع التأكيد علىٰ أن هذا الأمر يحصل كل

---

(١) سورة الدخان: ٣ـ٤.

(٢) سورة القدر: ٢ـ٥.

عام بدليل وجود فعل المضارعة ﴿يُفْرَقُ﴾، ولكنها في الثانية تطرح قضية أخرىٰ، وهو ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، وهذا التنزّل السنوي للملائكة مع الروح من الواجب أن يثير فينا التساؤل عن الجهة التي تتنزّل عليها الملائكة والروح[1]، ولا تصلح أي عقيدة بخلاف عقيدة أهل البيت عليهم السلام في تقديم تصور منطقي علىٰ من تتنزّل عليه الملائكة، فالتنزّل هنا ليس تنزّلاً رمزياً من أجل القول بأن الليلة مباركة من قبل الله لمحض المباركة كما قد يحاول قول ذلك تيار التحريف،[2] وهذا التنزل حينما يكون لازم التحقق بموجب هذا الحديث القرآني، فيستلزم وجود الجهة التي لديها المؤهلات الكفيلة بحيث أنها تكون مَوْئلاً لنزول الملائكة ومن ثم عرض أمر كل شيء عليها، وعندئذ فمن الحق أن نتساءل عن الجهة التي تصلح لأن تكون مهبط الملائكة والروح

---

(١) في تعبير الروايات الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام أن الروح خلق أكبر وأعظم من الملائكة، ولهذا خالف محمد حسين فضل الله هذه الروايات حينما طرح تفسير أهل العامة بكون جبرئيل عليه السلام هو المعني بذلك كأحد إحتمالين، مع تقديم هذا الإحتمال تراتبياً علىٰ ما فسرته روايات أهل البيت عليهم السلام. «أنظر من وحي القرآن ٢٤ : ٤٠٨».

(٢) أنظر من وحي القرآن ٢٤ : ٤٠٥ فما بعد.

إليها، وهذه الجهة كما يدلّ مضمون الآيات لها مواصفات متعلقة بالرسالة وشؤونها، كما يشير إلىٰ ذلك ما روي عن الإمام الجواد، عن الإمام الصادق، عن الإمام الباقر عليه السلام حيث يقول في حديث طويل لمحدّث له بالكعبة المشرفة: فإن قالوا لك: فقل: ﴿حمٓ * وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ * إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا إلىٰ قوله: إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾ فإن قالوا لك: لا يرسل الله عزّ وجلّ إلا إلىٰ نبي فقل: هذا الأمر الحكيم الذي يفرق فيه هو من الملائكة والروح التي تنزَّل من سماء إلىٰ سماء أو من سماء إلىٰ الأرض؟ فإن قالوا: من سماء إلىٰ سماء، فليس في السماء أحد يرجع من طاعة إلىٰ معصية، فإن قالوا: من سماء إلىٰ أرض ــ وأهل الأرض أحوج الخلق إلىٰ ذلك ــ فقل: فهل لهم بدّ من سيّد يتحاكمون إليه؟ فإن قالوا: فإن الخليفة هو حكمهم فقل: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ إلىٰ قوله: خَٰلِدُونَ﴾[1] لعمري ما في الأرض ولا في السماء وليٌّ لله عزّ ذكره إلا وهو مخذول، ومن خذل لم يصب، كما أنّ الأمر لا بدّ من تنزيله من السماء يحكم به أهل الأرض، كذلك لا بدّ من والٍ، فإن قالوا: لا نعرف هذا

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٧.

فقل لهم: قولوا ما احببتم، أبىٰ الله عزّ وجلّ بعد محمد ﷺ أن يترك العباد ولا حجة عليهم.

ثم قال محدّث الإمام الباقر عليه السلام: هاهنا يا ابن رسول الله باب غامض، أرأيت إن قالوا: حجة الله القرآن؟ قال: إذن أقول لهم: إن القرآن ليس بناطق يأمر وينهي، ولكن للقرآن أهل يأمرون وينهون، وأقول: قد عرضت لبعض أهل الأرض مصيبة[1] ما هي في السنة والحكم الذي ليس فيه إختلاف، وليست في القرآن، ابىٰ الله لعلمه بتلك الفتنة أن تظهر في الأرض، وليس في حكمه راد لها أو مفرج عن أهلها.[2]

ولو بحثنا لما وجدنا هناك غير جهة إعتنىٰ القرآن الكريم في تقديمها كجهة وحيدة تصلح لمثل هذا الحديث عن التنزّل الرسالي عليها من قبل الملائكة والروح، وهي جهة أئمة اهل البيت عليهم السلام بعد الرسول ﷺ وهذا التفسير ينسجم مع كل ما قدّمناه بشأن الإمامة الشاهدة علىٰ كل شيء في الوجود، وثانياً تؤكده العديد من الروايات الواردة في تفسير السورة.[3] كما في رواية علي بن

---

(١) بمعنىٰ المعضلة والمشكلة.
(٢) الكافي ١: ٢٤٥ـ٢٤٦ ح١.
(٣) أنظر الكافي ١: ٢٤٥ فما بعده، وتفسير نور الثقلين ٥: =

إبراهيم في تفسيره حيث يقول: ومعنى ليلة القدر إن الله يقدّر فيها الآجال والأرزاق، وكل أمر يحدث من موت أو حياة أو خصب أو جدب أو خير أو شر كما قال الله: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ إلىٰ سنة. قوله: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ قال: تنزل الملائكة وروح القدس علىٰ إمام الزمان ويدفعون إليه ما قد كتبوه من هذه الأمور.[1]

ولهذا نعتقد أن التنزّل السنوي للملائكة بالأقدار إنما يكون علىٰ إمام الزمان وما هذا إلا بسبب إضطلاعه (صلوات الله عليه) بدور الإمامة الشاهدة التي طرحتها آية شهادة من عنده علم الكتاب.

= ٦١٩ فما بعدها، وتفسير كنز الدقائق ١١ : ٤٤٠ فما بعد، وموضع السورة في تفاسير العياشي والبرهان وتاويل الأيات الظاهرة في مناقب العترة الطاهرة.

(١) تفسير القمي ٢ : ٤٣٢.

عودة للبداية !!

وعوداً علىٰ بدء نتساءل عن الأسباب التي تجعل هذا التيار يعارض أقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام فيما صحّ صدورها عنهم، ويأتي بمناقض لها من تفسيرات المخالفين لهم، ولا يمكن تصور ذلك إلا من خلال القول بأن هذا الرجل **إما** أنه لايقبل رواية أهل البيت عليهم السلام بسبب مشاكل السند والدلالة وما إلىٰ ذلك، وهو أمر لن ينقذه، لأنك قد عرفت توافق الدلالة مع هذا الفهم الذي تسوقه روايات سليمة وصحيحة الصدور، علىٰ أنه لو كانت مشاكل السند صحيحة فما باله أخذ بروايات لا يمكن ان تضاهي في سندها أسانيد الروايات التي ذكرناها؟.

وإما أنه لايقبل بعصمة أهل البيت عليهم السلام وخصوصية علومهم، بحيث أنه يخرجهم من دائرة العصمة ليحولهم إلى رواة ومفسرين يقبل منهم ما يشاء ويذر منهم ما يشاء، وهذا الأمر لعله هو الأقرب إلىٰ

فهمه، فالرجل بعد ان لاحظ أن أصول الدين وفروعه لدىٰ العامة هي الحقائق الإسلامية البديهية الثابتة التي لاتقبل المناقشة، وفي نفس الوقت اعتبر أن أصول الدين وفروعه الإمامية كلها من الصنف غير الثابت القابلة للمناقشة نفياً وإثباتاً وفق مقاله: «**الأصالة والتجديد**»[1] ذكر في كتابه **حوارات** ما يلي: إن كل ما جاءنا من تراث فقهي وكلامي وفلسفي هو نتاج المجتهدين والفقهاء والفلاسفة والمفكرين من خلال معطياتهم الفكرية ولا يمثل الحقيقة إلا بمقدار ما نقتنع به من تجسيده للحقيقة، علىٰ أساس ما نملكه من مقاييس الحقيقة، وبهذا فإننا **نعتبر أن كل الفكر الإسلامي ــ ماعدا الحقائق الإسلامية البديهية ــ هو فكر بشري، وليس فكراً إلهياً، قد يخطيء فيه البشر فيما يفهمونه من كلام الله وكلام رسول الله(ص) وقد يصيبون**.[2]

وهذا هو الأمر الوحيد الذي من شأنه أن يبرر ترك هذا التيار لحديث أهل البيت عليهم السلام، ومن يلحظ بقية كلماته ومواقفه من أئمة أهل البيت عليهم السلام لاسيما من

---

(١) الأصالة والتجديد (مصدر سابق): ٦٢.
(٢) حوارات في الفكر والسياسة والإجتماع (مصدر سابق): ٤٨٠.

قضايا أمير المؤمنين عليه السلام يجد صحة ما نرمي إليه، فإعتبار الإمامة والعصمة وعلم الإمام وولايته وغيرها من المتحولات، وتشكيكه بسند الغدير، وإعتباره بيعة الغدير بمثابة التجربة التي أراد الرسول لها أن تتحرك علىٰ المستوىٰ التجريبي لا الإلزامي، وتصويره أمير المؤمنين عليه السلام بالصورة التي لم يتجرأ حتىٰ أقبح النواصب علىٰ وضعه فيها حيث قال عنه: وفي مطلق الأحوال إن علياً (عليه السلام) يشرع في هذا المقطع من دعائه في تبيان ما من أجله كان يتوسل مقسماً بأسماء الله تعالىٰ وصفاته، وهو يبدأ بسؤال المغفرة للذنوب التي من شأنها أن تمس كيانه وشخصيته، فتحيلها إلىٰ شخصية متهالكة ضعيفة لاحول لها ولا قوة، فاقدة لأي اعتبار او موقع، أو دور فاعل وإيماني في الحياة.(١)

---

(١) في رحاب دعاء كميل: ٧٢؛ الطبعة الأولىٰ، وقد حاول في الطبعة الثانية أن يعتذر عن ذلك بالقول بأنه أراد أن يكون: سؤاله قدوة لغيره لمن هو دونه في الكمال المعنوي والإيماني، بحيث إذا ما أراد الوقوف بين يدي الله تعالىٰ، فإن عليه أن يتذكر ذنوبه. .(المصدر؛ الطبعة الثانية: ٧٢)، وبفعله هذا قام بتصحيح عبارتين فقط ولكن العبارات التي حوت أشد أنماط الإساءة أبقاها علىٰ ما هي عليه.
ولعمري كان العذر أقبح من الذنب، حيث كان بالإمكان أن =

تصاغ العبارة هذه وغيرها من العبارات التي سنذكرها، بألفاظ أكثر تهذيباً مع شخصية الإمام عليه السلام والكتاب يقرأ من قبل العاقل وغيره، والشيعي وغيره، والمثقف وغيره، والعالم والجاهل، ولو كان الأمر كما يريد أن يقول فما بال هذا الإصرار على إبقاء الضمائر المرجعة إلى شخصية الإمام عليه السلام عاملة وبفعالية فاقعة، ولو تلافينا كل ذلك وتم الإغضاء عن هذه العبارة، فما بال العبارات الأخرىٰ لم تتغير في الطبعة الثانية من الكتاب، خصوصاً بعد أن لاحظ الكاتب أنه في الطبعة الثانية حاول كما يقول قطع: الطريق على المصطادين بالمياه العكرة. فمع إحتمال ان تساء فهم شخصية الإمام عليه السلام أما كان بالإمكان تلافي العبارات جميعاً، ولم كل هذه العناية علىٰ الإستبسال وقد يصل إلىٰ حد الإقتتال علىٰ أن يحتفظ الكاتب بكل أصناف التبجيل والتقديس فيما يبات وليد السماء وقديس الأرض يُقذع بهذه الأوصاف التي إن عبرت عن شيء فلا أقل من أنها عبرت عن سوء أدب بساحة الإمام المقدسة.

ولقد كان من السهولة بمكان أن يقتدي بمن سبقه من العلماء ممن كتب في مثل هذه الأمور فلم تندّ منه حتىٰ ما يشبه التقصير، فكيف بك وأنت ترىٰ تصوير مولىٰ المتقين بالصورة التي لم يتجرأ علىٰ وصفها حتىٰ أشد المناصبين لؤماً.

علىٰ أن من حقنا ان نتساءل عن الدواعي التي تجعل هذا الرجل نراه يغص حتىٰ بالهواء! كل ما وصل الأمر إلىٰ =

وقال في موضع آخر (ولاحظ معي الضمائر المرجعة إلىٰ شخصية الإمام عليه السلام): ماذا نشعر ونحن نرىٰ علياً يسأل المغفرة تلو المغفرة، ثم لايكتفي بذلك، بل يتجاوزه إلىٰ سؤال شفاعة الله سبحانه وتعالىٰ له. **ألا تشعر أن علياً لايزال خائفاً، ولا سيما أن الذنوب والخطايا**

= مكرمات أمير المؤمنين عليه السلام ومناقبياته وظلامات أهل بيته عليهم السلام وفقههم، في الوقت الذي تراه هشٌ بشٌ مع فكر أعداء علي وأهل بيته عليهم السلام ، فالذين اعتدوا علىٰ بيت فاطمة (صلوات الله عليها) لم يعتدوا، وإنما كانت لهم معها علاقة طبيعية، وهو لهذا لا يتفاعل مع الأحاديث القائلة بأن القوم قد هجموا على الدار، وأضرموا النار فيه، ولأنها كانت لها موقعة متميزة في نفوس هؤلاء وان قلوب المعتدين كانت ممتلئة بحب الزهراء عليها السلام ، وأن هؤلاء لم يحدثوا أية سلبية حيال النبي في كل واقع الإسلام، وفيما لايجد في الشهادة الثالثة في الأذان أي مصلحة شرعية ويراها تؤدي لمفاسد كثيرة. «المسائل الفقهية ٢ : ١٢٣ ط١ـ ١٩٩٧»، تجده يرىٰ مثل هذه المصلحة الشرعية في إضافة قول آمين إلىٰ سورة الفاتحة، فهو مبطل للصلاة في نظره، ولكن للصحة لديه وجه، لاسيما إذا قصد بها الدعاء. «المسائل الفقهية ١ : ٩٢ ط١ـ ١٩٩٥م»، ونفس الأمر يسري مع التكتف أثناء الصلاة خصوصاً إذا قصد به الخضوع والخشوع لله. «المسائل الفقهية ١ : ٩١ـ٩٢». ومثل ذلك كثير!! فتأمل.

التي طلب من الله سبحانه وتعالى أن يغفرها له هي من الذنوب الكبيرة التي يكفي ذنب واحد لينقصم الظهر منها.[1]

وقال في موضع آخر: ويتابع الإمام ببيان حاله قائلاً: «ولا تفضحني بخفي ما اطلعت عليه من سرّي» يارب هنالك الكثير من الأشياء التي أقوم بها من دون ان يراني أحد، أو أتكلم بشيء ولا يسمعني أحد، وأنت الساتر الرحيم **فيا رب لا تفضحني في الدنيا وفي الآخرة، واعدك بأني سأتراجع عن خطئي وإساءتي ومعصيتي.**[2]

وقال في موضع آخر: ولذا فالإمام يقول يارب **لقد خلقت لي هذه الغرائز، ومن حولي أجواء تثير هذه الغرائز،**[3] **تستيقظ غرائزي عندما تحفّ بها الروائح والأجواء الطيبة التي تثيرها أعطيتني عقلاً، ولكن غرائزي في بعض الحالات تغلب عقلي فأقع في المعصية.**[4]

وقال في مكان آخر وبلهجته العامية وهو يتحدث عن امير المؤمنين عليه السلام: كان إذا سمع أحداً يمدحه شو

---

(١) في رحاب دعاء كميل: ٩٤.
(٢) نفسه: ١٥٩.
(٣) غرائز الجوع والعطش والجنس وحب الذات.
(٤) نفس المصدر: ١٦٩.

(ماذا) كان يقول: اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لايعلمون، كل الناس بتظن بيّه(بي) الخير، أريدك تجعلني احسن مما يظنون الناس فيّ، **ولكن يا رب أنت تعرف خفاياي، في أشياء أنت بتعرفها، والناس ما بتعرفها اغفر لي هذه الأشياء.**[1]

وهكذا المئات من القضايا التي مسّت كيان المذهب في أسسه الوجدانية والعقائدية والتأريخية والفقهية، بل إن بعضاً منها ما خالف الإسلام بكل كياناته المذهبية كما في مواقفه من تحريف التوراة والإنجيل حيث يعتقد بأنها حرّفت في اللفظ دون المعنىٰ،[2] وهكذا قوله بعدم كفر القائلين بالثالوث المسيحي[3] رغم صريح القران: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[4]

---

(١) من شريط مسجل بصوته بث من قبل إذاعة محلية في لبنان نحتفظ به.
(٢) من شريط مسجل نحتفظ به.
(٣) في آفاق الحوار الإسلامي المسبحي: ٢٩٤ محمد حسين فضل الله؛ دار الملاك؛ الطبعة الأولىٰ ١٩٩٤.
(٤) التوبة: ٣٠.

وقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[1] وهكذا قوله بإلتزام القرآن بمقدسات أهل الكتاب[2] حتىٰ لو كانت هذه المقدسات من نمط الإعتقاد بقصة يوسف النجار وحمل مريم منه، وحتىٰ لو كانت هذه المقدسات بمقدار قداسة فكرة اليهود عن تكذيبهم لعيسىٰ عليه السلام، ومقدسة النصارى بتكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وحتىٰ لو كانت مقدساتهم تعني عدم تحريفية الكتاب لفظاً ومعنىٰ هذا ناهيك عن أقواله التي تتعفف عنها الكثير من الفرق الإسلامية خصوصاً تلك التي تتعلق بالتجسيم الإلهي حينما يصف العرش بالمنطقة الجغرافية[3] ، وكذا قوله الشنيع بتجلي ذات الله للجبل في قصة موسىٰ،[4] أو أقواله التي تتعلق بعصمة الأنبياء وعقائدهم في توحيد الله كأقواله في آدم ونوح وإبراهيم ويوسف ويونس وموسىٰ وسليمان وداود والرسول (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين)، وكل هذه الأقوال مرفوضة جملة وتفصيلاً من

---

(١) المائدة: ٧٣.

(٢) أنظر كتاب خلفيات كتاب مأساة الزهراء عليها السلام ١ : ٢٤٧.

(٣) أنظر مجلة الموسم العدد٢١ـ٢٢(عدد خاص بفتاويه): ٢٥٠ س٩٤٢.
وكذا كتاب الإنسان للحياة: ٣٠٠.

(٤) أنظر من وحي القران ١٠ : ١٦٦ـ ١٦٧.

قبل الإمامية ولم يضع هذا الرفض علماء الإمامية من تلقائياتهم، وإنما تلقوه من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام .

* * *

خاتمة المطاف

إن دائرة الإنحراف ليست متوقفة علىٰ قول خالف فيه تيار الإنحراف موقفاً من مواقف الإمامية(اعلىٰ الله شأنهم) كما رأينا في الحديث عن هذه الآيات الشريفة، وإنما تشكل حالة الخلاف هذه حلقة من سلسلة متمادية في مخالفة فكر المذهب ورؤاه العقائدية والوجدانية والتاريخية والفقهية، ولهذا فليست العقدة تتمثل في أن تيار الإنحراف فسّر هذه الآية أو تلك بشكل خاطيء، وإنما في تسريبهم للأفكار المنحرفة بعنوانها أفكار أهل البيت عليهم السلام ضمن سلسلة طويلة يجب أن ترىٰ بأكملها، لا ان تقتطع هنا او هناك، كي يقال أن هذا القول ليس فيه درجة الكفر بالمذهب.

إن من المسلّم به أن التشيّع ليست هوية تصدر من دائرة النفوس أو دائرة الأحوال الشخصية، وإنما هو إنتماء عقائدي لمنظومة محددة من الأفكار والرؤىٰ التي أوجد

أسسها أهل البيت عليهم السلام، والخروج عنها هو خروج عن المذهب، ولا يظنن البعض أن تيار الإنحراف قد جمع ما بين دفتيه أكبر مقدار من الأقوال الشاذة ضمن إطار المذهب،[1] فالأقوال التي قرأناها واستمعنا لها بأصواتهم، لاتمثل حالة خلافية تبقى في دائرة الأجتهاد، والاجتهاد الآخر، وإنما هي حالة مخالفات لبنية المذهب وتركيبته، وبالتالي لم نك لنستغرب حينما حكمت المرجعية العليا في قم المقدسة ممثلة بالمرجعين الكبيرين الآيات العظام الشيخ الميرزا جواد التبريزي، والشيخ الوحيد الخراساني(حفظهما الله تعالىٰ) علىٰ هذا التيار

---

(١) نقول ذلك لأن تيار الإنحراف اجتهد في إدعاء أن أقواله لها ما يماثلها لدىٰ علماء الطائفة، ولابد لنا هنا من أن نشير إلىٰ الفرق بين من يضم في أفكاره واحدة او أكثر من الأفكار الشاذة ويبقىٰ ملتزما في دائرة أساسيات التفكير العقائدي، وآخر نقّب وبحث في غالبية كتب من تقدم من العلماء فعثر علىٰ شواذ أفكارهم أو ما يصلح للتطويع بإتجاه الشاذ من التفكير، فضمّ هذه الشواذ إلىٰ ما مجموعة إنحرافاته كي يقول بأن أفكاره ليست من عندياته وإنما هي أقوال العلماء السابقين، أضف إلىٰ ذلك فإن المقياس في الحق ليس هو الرجال أياً كانوا طالما خرجوا من دائرة العصمة، وإنما الأصل هو الحق الذي يعرّف تفكير هؤلاء الرجال، وملاك هذا الحق هو القرآن وصحيح السنة المعصومة.

بالإنحراف والخروج عن الطائفة المحقّة.

ومفروغ عنه أن المرجعين الكبيرين (أعلىٰ الله شأنهما) لم يتخذا موقفيهما في إعتبار داعية الإنحراف ضالاً ومضلاً بسبب إثارته الآثمة حول سند الغدير[1] أو نفيه لعصمة الزهراء[2]، أو أقواله النافية لظلامتها عليها السلام فحسب، وإنما لأن هذه الأقوال تم النظر إليها ضمن مئات المواقف التي تنكّب فيها داعية الإنحراف بعيداً عن المذهب، ولا أشك بتاتاً بأن من ينظر إلىٰ ما نظرنا إليه من مواقف مجافية للمذهب سوف يجد قرار المرجعية العليا قد كان في موضعه تماماً.

إن ما حدث لا ريب في أنه مؤلم للغاية، ولا أعلم أن مراجع الطائفة المحقة(أعلىٰ الله مقامهم الشريف) حكمت علىٰ أحد بالخروج من المذهب وأعلنت إنحرافه عنه، كما اعلنت هنا، ولربما تكون هذه الحالة هي الحالة الوحيدة التي يتم الإعلان عنها، ولكن حالة الإنحراف هذه ليست بالأمر المستغرب، فلقد تحدّث القرآن عن إنحراف إبليس وهو الذي كان يسمىٰ بطاووس المتعبدين، وكذا تحدّث عن حالة إنحراف بلعم بن باعوراء حيث

---

(١) الندوة ١ : ٤٢٢.

(٢) تأملات إسلامية حول المرأة: ٨ـ٩.

قال: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾(١) وقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(٢).

إن الإنحراف حالة مرضية يمكن أن تصاب بها كل الكيانات غير المعصومة، وخط الإنحراف يبدأ ضيقاً، حتىٰ إذا ما بلغ أشدّه بان علىٰ حقيقته، وما أصدق كلام أمير المؤمنين عليه السلام حينما قال في صحيحة ثقة الإسلام الكليني موضحاً حقيقة الإنحراف وبدء دبيبه في كيان الأشخاص والأمم: أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولىٰ فيها رجال رجالاً، فلو ان الباطل خلص لم يخف على ذي حجىٰ، ولو ان الحقّ خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث، ومن هذا ضغث، فيمزجان فيجيئان معاً فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنىٰ.(٣)

أما كيف نتخلص من ذلك فلن يكون إلا من خلال

---

(١) الاعراف: ١٧٥.
(٢) التوبة: ٣٤.
(٣) الكافي ١: ٥٤ ح١.

الحذر الشديد والورع الكبير في التعامل مع مسائل الدين وعقائده، ولن يتم ذلك إلا من خلال الرجوع لأهل البيت عليهم السلام فما جاءنا منهم بقول صحيح تعبّدنا به، وما جاء عن غيرهم مخالفاً لهم رددناه وكفرنا به، كائناً من كان قائله والملتزم به، فالحق هو الذي يعرّف الرجال، ولايعرف الحق بالرجال كائناً من كانوا، فيما خلا أهل بيت العصمة والطهارة فهم مرجع الدين، وهم الملاذ من الفتن والبدع، وما أحسن قول الصادق من آل محمد عليه السلام حينما قال بشأن التازع علىٰ أمر ما، بأن يتم التحاكم إلىٰ: من كان منكم ممن قد روىٰ حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه، فإنما استخفّ بحكم الله وعلينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ على الله وهو على حد الشرك.(١)

عصمنا الله وإياك عزيزي القاريء من الضلالة والتخبط بنار الفتن، وجعلنا من المتمسكين بشرعة آل محمد عليهم السلام ، واستميحك في الختام العذر فيما إذا بدر مني هفوة أو زلّة، وشفيعي في الإعتذار أن غايتي أن أسهم في الرد عن آل محمد عليهم السلام ظلامة لحقت بهم

---

(١) الكافي ١ : ٦٧ ح١٠.

أثارتها عليهم نار الجهل والغرور.

اللهم إني أُشهدك وكفىٰ بك عالماً وشهيداً أنه ماكان الذي كان مني في التصدي لموجة الضلال هوىٰ في دنياهم، ولا طمعاً في وجاهتهم، ولا حسداً مني لمالهم، ولا إحنة علىٰ أشخاصهم، وإنما كان الذي كان مني تعبّداً بالولاء لعقيدة آل محمد عليهم السلام خالصة لهم دون سواهم ورائدي في ذلك يارب قول دعاة الهدىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1]

اللهم إن كنت تعلم صدقي فيما أشهدك به فأعني منك بحول وقوة، فإن المستجير بغيرك خائب، واللائذ بسواك مخذول، والمستعين بغيرك بائر، أنت الهادي لطريق الهدىٰ والموفق لنهج الحق عليك توكلت وإليك مآب.

---

(١) الأعراف: ١٦٤.

المصادر والمراجع

١ــ القران الكريم.

التفاسير القرآنية

٢ــ الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي؛ المكتبة الثقافية ــ بيروت.
٣ــ أنوار التنزيل: القاضي البيضاوي؛ مؤسسة الأعلمي؛ بيروت.
٤ــ البرهان في علوم القرآن: الزركشي؛ دار الفكر بيروت.
٥ــ تأويل الآيات الظاهرة في مناقب العترة الطاهرة: شرف الدين الحسيني النجفي؛ مدرسة الإمام المهدي (عج) ــ قم.
٦ــ تفسير الحبري: الحسين بن الحكم الحبري؛ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث؛ بيروت.
٧ــ تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي؛ مؤسسة

الأعلمي ــ بيروت.
٨ــ تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي؛ مؤسسة النعمان ــ بيروت.
٩ــ تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي؛ مؤسسة الأعلمي ــ بيروت.
١٠ــ تنوير المقباس: منسوب لابن عباس؛ مطبوع في هامش كتاب الدر المنثور؛ دار المعرفة.
١١ــ جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري؛ دار المعرفة بيروت.
١٢ــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي؛ دار المعرفة.
١٣ــ روح المعاني: محمود الآلوسي؛ دار الفكر ــ بيروت.
١٤ــ زاد المسير في علم التفسير: الجوزي؛ دار الفكر بيروت.
١٥ــ شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني الحنفي؛ بيروت.
١٦ــ غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين النيسابوري؛ مطبوع في هامش تفسير الطبري؛ دار المعرفة ــ بيروت.
١٧ــ الكشاف: محمود الزمخشري؛ دار الفكر ــ

بيروت.
١٨ــ لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين الخازن؛ دار الفكر ــ بيروت.
١٩ــ مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي؛ دار المعرفة بيروت.
٢٠ــ مفاتيح الغيب: الفخر الرازي؛ دار الفكر ــ بيروت.
٢١ــ المنار: محمد رشيد رضا؛ دار الفكر ــ بيروت.
٢٢ــ الميزان في تفسير القرآن: العلامة الطباطبائي؛ مؤسسة الأعلمي ــ بيروت.

الكتب الحديثية

٢٣ــ الإحتجاج: الطبرسي؛ مؤسسة الأعلمي ــ بيروت.
٢٤ــ أصول الكافي: ثقة الإسلام الكليني؛ دار التعارف للمطبوعات بيروت.
٢٥ــ أمالي المفيد: الشيخ المفيد؛ مؤسسة الأعلمي ــ بيروت.
٢٦ــ بشارة المصطفىٰ لشيعة المرتضىٰ: محمد بن أبي القاسم الطبري؛ المكتبة الحيدرية ــ النجف.
٢٧ــ بصائر الدرجات: محمد بن الحسن الصفار؛

مؤسسة الأعلمي ـ طهران.
٢٨ـ تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي؛ مؤسسة أهل البيت(ع) ـ بيروت.
٢٩ـ ترجمة الإمام علي في تأريخ دمشق لابن عساكر: تحقيق محمد باقر المحمودي ـ بيروت.
٣٠ـ الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي؛ مدرسة الإمام المهدي(عج) قم.
٣١ـ كتاب سليم بن قيس العامري: سليم بن قيس العامري؛ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.
٣٢ـ رسالة الإعتقاد: الشيخ الصدوق؛ طبعة حجرية النجف.
٣٣ـ علل الشرائع: الشيخ الصدوق؛ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.
٣٤ـ غيبة الشيخ الطوسي: الشيخ الطوسي؛ مؤسسة المعارف الإسلامية ـ طهران.
٣٥ـ فرائد السمطين: الحمويني.
٣٦ـ كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق؛ نشر الحوزة العلمية ـ قم.
٣٧ـ كنز العمال: المتقي الهندي؛ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
٣٨ـ مختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله

الأشعري: الحسن بن سليمان الحلي ــ قم .
٣٩ــ المناقب: موفق بن احمد الخوارزمي ــ الحوزة العلمية قم.
٤٠ــ مناقب إبن المغازلي: إبن المغازلي الشافعي؛ مؤسسة الأعلمي ــ بيروت.
٤١ــ وسائل الشيعة: الحر العاملي؛ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.
٤٢ــ ينابيع المودة لذوي القربىٰ: القندوزي الحنفي؛ دار الأسوة ــ قم.

كتب أخرىٰ

٤٣ــ إرشاد العقول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: الشوكاني، القاهرة.
٤٤ــ الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر؛ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.
٤٥ــ خلفيات كتاب مأساة الزهراء عليها السلام: للسيد جعفر مرتضىٰ العاملي: دار السيرة ــ بيروت الطبعة الأولىٰ.
٤٦ــ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي؛ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.
٤٧ــ لسان العرب: إبن منظور الإفريقي؛ تحقيق علي شيري؛ دار إحياء التراث العربي؛ بيروت.

٤٨ــ معجم رجال الحديث: الإمام الخوئي؛ منشورات مدينة العلم ــ قم.
٤٩ــ المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني؛ دار المعرفة ــ بيروت.
٥٠ــ من الإجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي: محمد أركون؛ ترجمة هاشم صالح؛ دار الساقي لندن ١٩٩٣.
٥١ــ ميزان الإعتدال: الحافظ الذهبي؛ دار المعرفة ــ بيروت.
٥٢ــ الناسخ والمنسوخ: النحاس، مؤسسة الكتب الثقافية ــ بيروت.
٥٣ــ الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم عليه السلام: جلال الدين علي الصغير؛ الطبعة الأولىٰ؛ دار الأعراف للدراسات ــ بيروت.

كتب محمد حسين فضل الله

٥٤ــ الإسلام ومنطق القوة؛ الدار الإسلامية ــ بيروت ١٩٨٦.
٥٥ــ الأصالة والتجديد؛ مجلة المنهاج ؛ العدد الثاني (بيروت).
٥٦ــ تأملات إسلامية حول المرأة؛ الطبعة الخامسة؛ دارالملاك بيروت ١٩٩٥.

٥٧ــ حوارات في الفكر والسياسة والإجتماع؛ إعداد نجيب نور الدين؛ دار الملاك ــ بيروت الطبعة الأولىٰ ١٩٩٧.

٥٨ــ خطوات على طريق الإسلام؛ دار التعارف للمطبوعات الطبعة الخامسة ١٩٨٦.

٥٩ــ صورة النبي محمد(ص) في القران الكريم؛ مجلة الثقافة الإسلامية؛ العدد ٦٥ .

٦٠ــ فقه الحياة؛ دار الملاك ــ بيروت؛ الطبعة الأولى ١٩٩٧.

٦١ــ في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي؛ دار الملاك بيروت الطبعة الأولىٰ ١٩٩٤.

٦٢ــ في رحاب دعاء كميل؛ دار الملاك ــ الطبعة الأولىٰ ١٩٩٥ والطبعة الثانية١٩٩٧.

٦٣ــ للإنسان والحياة؛ إعداد وتنسيق شفيق الموسوي؛ دار الملاك بيروت ــ ١٩٩٧.

٦٤ــ المسائل الفقهية ١ــ٢ ط١ دار الملاك ــ بيروت.

٦٥ــ مع الشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد؛ مجلة الفكر الجديد؛ العدد التاسع (لندن).

٦٦ــ من وحي القرآن؛ دار الزهراء؛ بيروت ــ الطبعة الأولىٰ.

٦٧ــ الندوة ج١ وج٢ الطبعة الأولىٰ؛ دار الملاك ــ

بيروت ١٩٩٧ .
٦٨ــ النكـاح؛ دار المـلاك ــ بيـروت الطبعـة الأولـى ١٩٩٧ .
٦٩ــ الوسط والشهودية مشروعان لإنقاذ الحضارة؛ مجلة المعارج ٢١ــ٢٣ .

الجرائد والمجلات الخاصة بموضوعات فضل الله

٦٩ــ جريدة فكر وثقافة عدة أعداد .
٧٠ــ مجلـة المعـارج العـدد: ١٢ــ ٢٣ ، والعـدد: ٢٨ــ٣١ .
٧١ــ مجلة المنطلق العدد ١١٣ .
٧٢ــ مجلة الموسم العدد ٢١،٢٢ .

هذا إضافة إلى عدّة أشرطة مسجلة بصوته

الفهرست

أبحاث المؤلف

الدراسات والأبحاث المطبوعة

١ــ العالم طبيعته ومصدره (دار التعارف ــ بيروت ١٩٨٠).

٢ــ حيثيات وآفاق القرار السياسي للحرب المفروضة (طهران١٩٨٥).

٣ــ نشوء القومية في العالم الإسلامي (المعهد الإسلامي ــ لندن ١٩٨٥).

٤ــ القائد القيادة والإنقياد في سيرة أمير المؤمنين(ع) (دار الزهراء ــ بيروت ١٩٩٠).

٥ــ التفسير الموضوعي والفلسفة الإجتماعية في المدرسة القرآنية (الدار العالمية ــ بيروت ١٩٩٠). (ترجم إلى اللغة الفارسية وطبع من قبل مركز نشر رجا ــ طهران).

٦ــ اتجاهات الدفاع الإجتماعي في الإسلام (دار البلاغة ــ بيروت ١٩٩٣).

٧ــ دور التقوىٰ في الحركة الإجتماعية (دار الأعراف للدراسات والنشر ــ بيروت ١٩٩٣).

٨ــ الشهادة وحياة الأمة (دار الأعراف للدراسات والنشر ــ بيروت). (الطبعة الثالثة)

٩ــ الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم(ع). (دار

الأعراف ــ بيروت). (الطبعة الثانية).
١٠ــ هذا الكتاب.
إضافة الى العديد من المقالات والدراسات التي نشرت في العديد من المجلات الإسلامية.

الدراسات والأبحاث غير المطبوعة

١ــ الإمامة بحث في الضرورة والمهام.
٢ــ العصمة.
٣ــ إتجاهات النفوذ البريطاني في العراق.
٤ــ الصراع الإجتماعي في الإسلام.
٥ــ بحوث في المذهب الإجتماعي في الإسلام.
٦ــ مجتمع المتقين في القران.
٧ــ المدلول الإجتماعي لحب الدنيا.
٨ــ إنتظار الفرج ودوره في حياة المسلم.
٩ــ سلوكية الأزمة في العمل الإسلامي.
١٠ــ تعليقة على كتاب إقتصادنا.
١١ــ مفتاح الميزان.
١٢ــ تفسير سورة الفاتحة.
١٣ــ تحت أفياء دعاء كميل.
١٤ــ في ظلال الديار المقدسة.
١٥ــ الإمامة ذلك الثابت الإسلامي المقدس.

١٦ــ الفقه الإباخي؛ إباحة فقه أم إستباحة دين.
١٧ــ دور الوجدان في حركة الأمة(الشعار الحسيني نموذجاً).

التحقيقات المطبوعة

١ــ الزهد للحسين بن سعيد الأهوازي؛ دار الأعراف للدراسات والنشر بيروت؛١٩٩٣ .
٢ــ الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة؛ للشهيد الأول؛ دار الأعراف للدراسات والنشر ــ بيروت ١٩٩٣ .
٣ــ كامل الزيارات لإبن قولويه (تحت الطبع) بيروت ١٩٩٨.

التحقيقات غير المطبوعة

١ــ تفسير نور الثقلين للحويزي.
٢ــ تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي.
٣ــ (عدة مجلدت)من كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي.
٤ــ إثبات الهداة في النصوص والمعجزات للحر العاملي.
٥ــ جامع الأخبار للفيض الكاشاني.
٦ــ بشارة المصطفىٰ لشيعة المرتضىٰ للطبري.
٧ــ نوادر الراوندي للسيد الراوندي.

عنوان المؤلف

يـود المـؤلـف أن يستمـع لـرأي الأخـوة القـراء واستفسـاراتهـم وتعليقـاتهـم، سـواء تلـك المتعلقـة بهـذا الكتاب أو بأي كتاب آخر له أو أي أمر يخطر ببال القاريء الكريم أن له علاقة بالكاتب، وسيكون ممتناً للقاريء ومستعداً للإجابة علىٰ هذه الأسئلة، والإستماع إلىٰ تلكم التعليقات مهما كانت طبيعتها، ولهذا يضع المؤلف عنوانه الحالي تحت إختيار الأخوة الأعزاء:

الجمهورية العربية السورية ــ دمشق ــ منطقة السيدة زينب عليها السلام ص. ب ٦٢٥.